وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵖⵏⵣⵀ ⵏ ⵜⵓⵏⵎⵔⵜ ⵜⵏⵣⴰ ⴷ ⵜⵙⵏⵙⵉ

ⵜⴰⵡⴰⵍⵜ ⵏ ⵍⵎⵓⵄⵔⵉⴼ ⴰⴽ ⵛⵃⵜⵛⵛⵓⵍ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵣⵜ ⵜⵣⵣⵓ

جامعة مولود معمري -تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes
.

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسلي:.....

مذكّرة تَخَرُّج لِنَيْلِ شَهَادة المَاستر

الميدان:لغة وأدب عربي.
الفرع: لغة وأدب عربي.
التخصّص: أدب مغاربي.

العنـــــــــوان:

المثقّف وصراع الأجيال في روايتي"الهضبة المنسية"و"سبات العادل"لمولود معمري.

. إعداد:

فاطمة طرمول.

. إشراف:

سامية داودي

لجنة المناقشة:

أ/د.آمنة بلعلى	أستاذة التّعليم العالي	جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيسة.
د/سامية داودي	أستاذة محاضرة صنف "أ"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفةً ومقرّرة.
أ/عزيز نعمان	أستاذ مساعد صنف "أ"	جامعة مولود معمري تيزي وزو	ممتحنا.

الدّفعة الثّالثة، جوان 2016

كلمة شكر

أتقدّم بكامل الشكر و الامتنان للأستاذة المشرفة

الدّكتورة "سامية داودي" التي لم تبخل عليّ بنصائحها

السديدة من أجل إنجاز هذا العمل.

إهداء

إلى كل العائلة والأصدقاء

فاطمة

مقدّمة

شكّل الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية الأطروحة المناقضة للأيديولوجيا الاستعمارية محاولا بذلك الانفلات من قبضة الاستعمار وتكريس القطيعة مع الأدب الكولونيالي الذي يحقق القتل الرّمزي للجزائر، ويمدّ الاستعمار بالشّرعية التّاريخية لاحتلال الجزائر، يمثله **لويسبرتراند**(Louis Bertrand)الذي كان يروّج فكرة "الجزائر لاتينية" باعتبار أنّ روما احتلت الجزائر قرابة سبعة قرون وهي تأتي الآن لإعادتها إلى أحضان الأمّة اللاتينية.

ظهر هذا الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية على يد مجموعة من الأدباء الذين حصلوا نصيبا وافرا من الثّقافة الفرنسية. لقد كان هدف الإدارة الاستعمارية من وراء تأسيس جهاز مدرسي في الجزائر هو غزو عقول أبنائها، وتكوين جيل جديد من الجزائريين يؤمن بمبادئ المدرسة الفرنسية، ويتنكر لهويّته وأصالته، فذلك هو السبيل الوحيد لضمان استمرارية الوجود الفرنسي في الجزائر.

تخرّج من المدرسة الفرنسية نخبة من المثقّفين أقبلوا على الكتابة الرّوائية في فترة ما بين الحربين العالميتين، لم يفقدوا إحساسهم بنبض مجتمعهم، الذي كان يعيش وقتها حركيّة استثنائية على جميع الأصعدة السياسية والثّقافية، ولم ينسلخوا عن هويّتهم رغم إحساسهم بشيء من التّمزق بين ثقافتين، ثقافة فرنسية اكتسبوها من خلال دراستهم، وبين ثقافة جزائرية يغلب عليها الطّابع الشفهي، فعبّروا عن عمق مجتمعهم، ونقلوا معركة الإنسان الجزائري في سبيل الحياة.

ألف **مولود فرعون** عام 1950" ابن الفقير"، ليتبعها بروايات أخرى صدرت خلال عشرية الخمسينيات وهي: رواية" الأرض والدم"، 1953 و"الدروب الصاعدة" 1957. وكتب **مولود معمري** "الهضبة المنسية "عام 1952، ورواية "سبات العادل" عام 1955، لينشر بعد الاستقلال روايته الملحمية "الأفيون والعصا" عام 1965. أما **محمد ديب** فقد نشر ثلاثيته "الجزائر" في الخمسينيات بداية ب"الدار الكبيرة" 1952، ثمّ "الحريق" 1954، ليلحقها برواية "النول" 1957. وخلال العشرية نفسها التي شهدت ميلاد الرّواية الجزائرية ذات التّعبير الفرنسي نشر **كاتب ياسين** روايته الشّهيرة "نجمة" عام 1956، ونشر **مالك حداد** الانطباع الأخير1958، و"سأهبك غزالة"

1959 ليتلوها برواية "التلميذ والدّرس" 1960. وبرز صوت نسائي ضمن هذه الكوكبة **آسيا جبار** التي كتبت روايتها الأولى "العطش" عام 1957، لتتلوها برواية "القلقون "1958، و"أطفال العالم الجديد" 1962.

يشترك هؤلاء الكتّاب في كونهم خريجي المدرسة الفرنسية، وكذا ارتباطهم بهموم مجتمع "الأهالي"، ورصد مشاكله اليوميّة من فقر وبطالة وهجرة، وحملهم مهمّة التّعبير عن القضية الوطنيّة، وجعلها في صدارة انشغالاتهم.

من هذا المنطلق يأتي هذا البحث ليحاور عالما روائيا غنيا لكاتب جزائري بارز أثرى الحقل الرّوائي الجزائري برواياته وهو **مولود معمري**، ووقع اختيارنا على روايتين "الهضبة المنسية" و"سبات العادل "اللتين شكلتا موضوع جدال مستفيض بين النّقاد، بعضهم يدرجهما ضمن أدب المثاقفة، والبعض الآخر يصنفهما في الأدب الاثنوغرافي، فتبلوّرت فكرة البحث في **المثقّف وصراع الأجيال في روايتي "الهضبة المنسية" و"سبات العادل" لمولود معمري**. وقد صيغت الإشكالية الأساسية في الأسئلة التّالية:

-ما أثر التّعليم الفرنسي على المثقّف الجزائري؟

-كيف كانت علاقة المثقّف بمجتمعه وبالآخر/المستعمِر؟ صراع؟ اتصال؟ انفصال؟

-ما هي المراحل التي مرّ بها المثقّف المستعمَر؟ علما أنّ **فرانس فانون** حدّدها في ثلاث: مرحلة الاستيعاب الحرفي للثّقافة الفرنسية، مرحلة الحنين والتذكر، ومرحلة العودة إلى المجتمع الأصلي.

استعنّا للإجابة عن هذه الأسئلة بالمنهج التّحليلي الوصفي، و المنهج التاريخي إضافة الى بعض طروحات النقد الثقافي و النّقد البنيوي خاصّة تلك المرتبطة بالسّرد والسّارد.

وجاء البحث مكوّنا من مدخل وفصلين وخاتمة . حاولنا من خلال المدخل المعنون بـ: **قضايا الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية**، أن نلمّ بالخلفيّة التّاريخية التي ظهر فيها الأدب الجزائري

المكتوب باللّغة الفرنسية، والفرق بين الكتّاب الجزائريين والكتّاب الفرنسيين مواليد الجزائر، وعلاقة الكتّاب الجزائريين باللّغة الفرنسية، وكذا التّيارات الأدبيّة السّائدة في الجزائر.

اشتغل الفصل الأوّل على **المثقّف/ الذّات السّاردة في"الهضبة المنسية"**، عبر المحاور الآتية: الأوّل :حول السّرد والسّارد، والثّاني:ضمير المتكلّم في "الهضبة المنسية"، والثّالث: شباب القرية والمدرسة الفرنسية، والرّابع:، مقران "مثقّف الهضبة المنسية، والخامس: صراع المثقّف مع مجتمعه، والسّادس: أثر الحرب العالمية الثّانية على القرية.

واحتوى الفصل الثّاني بعنوان: **المثقّف ووعي الذّات والآخر في "سبات العادل"**، تحليلا لأهم القضايا المرتبطة بثنائية الأنا والآخر، وضمّ بدوره ست نقاط، ركزنا في أوّلها على الأنا(الذّات)والآخر ، وثانيها على المثقّف ووعي الذّات والآخر ، وثالثها: المعلم الفرنسي/الثّقافة المثال، ورابعها: مكوّنات الهويّة، وخامسها: رحلة البحث عن الذّات.

وأنهينا هذا البحث بخاتمة ألمّت بمختلف النّتائج التّي توصلنا إليها في هذا البحث،

وقد اعتمدنا على قائمة من المراجع التي أنارت طريق هذا البحث إلى أفق المساءلة والنّقاش نذكر من بينها:تطور الأدب القصصي الجزائري لعايدة أديب بامية، صور الأنا والآخر في السّرد لمحمد الدّاهي، الأدب الجزائري في رحاب الرّفض والتّحرير لنور سلمان، Le roman algérien de langue française ل،لفوزية بنجليد، وغيرها من الدّراسات والمواقع الالكترونيّة.

واجهتنا بعض الصعوبات أثناء البحث وأهمّها قصر الوقت الذي حددّ لإنجاز هذه المذكرة فهذه المدّة الزمنية لا تكفي للغوص في أعماق المدوّنة المختارة، إضافة إلى عملية التّرجمة التي تحتاج إلى وقت طويل.

لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة الدكتورة **سامية داودي** التي لم تبخل علينا بكتبها ونصائحها السّديدة.

مدخل:

قضايا الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية.

1-الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية/النّشأة وإشكالية الانتماء.

2- الكتّاب الجزائريون والكتّاب الأوربيون مواليد الجزائر.

3-علاقة الكتّاب الجزائريين باللّغة الفرنسية.

4-التيارات الأدبيّة السّائدة في الجزائر.

منذ أن وطأت فرنسا أرض الجزائر وجعلت منها ملكيّة فرنسية عملت على تفقير شعبها وحرمانه من أدنى حقوقه الشّرعية، حيث وضعت ما يقارب ثلاثة ملايين هكتار من أرض الجزائر في خدمة الأوربيين، الذين غادروا أوطانهم واستقرّوا في الجزائر لتحقيق الأهداف العسكرية والاقتصادية والسياسية للإدارة الفرنسية [1]، فمن خلال سلب الإنسان الجزائري أرضه فهي تحرمه مصدر رزقه وتزعزع كيانه الاجتماعي. وقد كتب **فرانز فانون** حول أهمّية الأرض في حياة الشّعوب قائلا: "إنّ القيمة الأكثر أهمّية بالنسبة للشّعب المستعمَر هي الأرض لأنّها شيء محسوس، فالأرض تؤمن الخبز وتضمن الكرامة."[2]

وتبعا لمصادرة الأراضي فقد تفككت العائلات الكبرى نظرا لاختفاء الوحدة القبلية وانهيار البنية الاجتماعية القديمة التي تدعمها الأرض إذ أصبح الفلاح المالك للأرض مجرّد أجير فيها.[3]

عرف عام 1881 م ظهور ما يسمى "بالدستور الأهلي" الذي يعطي الحق للمسؤولين في البلديات المختلفة المعاقبة دون محاكمة. ووُضعت الزوايا والاحتفالات الدّينية تحت الرّقابة الشّديدة.[4] "وأصبحت الأوقاف الممنوحة من طرف المواطنين للمؤسّسات الدينية تحت تصرّف الدّولة الفرنسية."[5]

لقد كان هدف فرنسا هو القضاء على الإنسان الجزائري من ناحيتين: الماديّة والمعنويّة، فأمّا الماديّة فتتمثّل في سلبه أرضه وجعله عرضة للفقر والجوع، والمعنوية من خلال تجريده من إنسانيته وكرامته والعناصر المكوّنة لهويّته أي اللّغة والدين.

قامت الدّولة الفرنسية مع حلول سنة 1914 بزجّ أبناء الشّعب الجزائري في حرب لا تعنيهم لا من قريب ولا من بعيد، و قد كان هدفها من خلال ذلك أن "تصنع منهم محاربين وجنودا لا

---

[1] Voir: Hocine Ait Ahmed, Mémoires d'un combattant, Editions Bouchene, Alger, 1990.

[2] فرانز فانون نقلا عن عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي في الجزائر(1925 – 1967)، ترجمة محمد صقر د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 12.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

[5] Hocine Ait Ahmed, Mémoires d'un combattant, p 58.

مواطنين وذلك بحرمانهم من حقّهم في الإنتخاب وإرغامهم على التّجنيد الإجباري خدمة للحكومة الاستعمارية".[1]

ولم يختلف الأمر كثيرا في فترة ما بين الحربين عمّا سبق، فقد انتشر الفقر والمجاعة والأوبئة حيث أصبحت الأجور منخفضة والوظائف نادرة مما دفع بأرباب العائلات إلى الهجرة التي كانت هي الأخرى سببا في تفكيك الأسرة الجزائرية.

وما يجدر الإشارة إليه هو أنّ الفقر كان له تأثير على التّربية والتّعليم إذ أنّ العديد من الأطفال تركوا مقاعد الدّراسة لممارسة الأعمال العرضية من أجل مساعدة أسرهم، وما إن حلّت الحرب العالمية الثّانية، حتى زادت الأوضاع سوءا على الصعيد الاجتماعي والسياسي، وقد أدّى هذا التّأزم إلى استيعاب أفضل من طرف الجزائريين لمشاكلهم، ووعي أكثر تبلورا بواقعهم ومصيرهم. مما جعلهم ينشطون من أجل إيجاد حلّ مناسب ومخرج ناجع لأوضاعهم السّيئة.

1- الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية/النّشأة وإشكالية الانتماء.

لقد عملت فرنسا منذ احتلالها الجزائر "على إضعاف ثقافتها الشّعبية، الشفهية والمكتوبة وأحدثت تغيّرات في المنظومة التّعليمية التي أصبحت رديئة المستوى، بحيث كانت تكوّن المواطنين لأغراض إدارية بحتة لا ترتقي إلى درجة الإبداع الأدبي".[2]

تلك هي الأسباب التي أدت إلى تأخر ظهور الأعمال الأدبيّة الجزائرية، لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حدث نوع من الإنفراج والتّقارب الحذر بين الفرنسيين والجزائريين، وقد ساعد على ذلك الإجراءات السّياسية والإدارية التي اتّخذتها الحكومة الفرنسية والتي ألغت بموجبها قانون "الأندجينا" العنصري، وأصبح بإمكان الجزائريين "ولأوّل مرّة منذ الإحتلال حق إنشاء الصحف والأحزاب السياسية"[3]، هذا إلى جانب استعداد المحتّلين للإحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر

---

[1] Hocine Ait Ahmed, Mémoires d'un combattant, p 55.

[2] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته، تطوّره و قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د ت، ص 94.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فكان لابد لفرنسا أن تُظهر للرّأي العالمي والفرنسي "أنّ رسالتها الحضارية قد أتت بثمارها، لذا عملت على تشجيع الأدب ونشر الأعمال الإبداعية لكتّاب من الأهالي".[1]

ظهرت خمسة أعمال إبداعية في عشرية 1920 م – 1930 م، منها "السيرة الذّاتية للقايد بن شريف"، مجموعة **سالم القبي** الشّعرية، "الزهرة امرأة المنجمي" **لعبد القادر حاج حمو** التي صدرت سنة 1925، ورواية "مأمون بدايات مثل أعلى" **لشكري خوجة** التي ظهرت سنة 1929.

وفي عام 1939 م ظهر كتاب "أغاني بربرية من بلاد القبائل"، ل"**جان عمروش**" وهو عبارة عن جمع وتدوين لقصائد وأشعار قبائلية مترجمة إلى اللّغة الفرنسية، ويمثّل العمل، حسب الباحثة **عايدة أديب بامية**، "أوّل خطوة في نشاط أدب جزائري أصيل".[2]

نشرت الكاتبة **طاوس عمروش** روايتها الأولى في عام 1947 بعنوان "الزنبقة السوداء". وإذا ما اعتبرنا الفترة التي أُلفت فيها هذه الرّواية قلنا إن ميلاد الرّواية الجزائرية يعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثّانية كون الكاتبة **طاوس عمروش** أنهت روايتها بين 1935 و1939. أما الرّواية في شكلها ومعاييرها الفنيّة المعروفة، فقد ظهرت عام 1950 م مع "ابن الفقير" **لمولود فرعون**.

لقد كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الثّانية لحظة حاسمة في تاريخ الجزائر، إذ بدأت الحركة السّياسية تنشط، خاصة بعد أحداث 8 ماي 1945م أين وصلت الأحوال إلى قمّة التأزّم: كان الشّعب يعيش حالة اجتماعية سيئة، ضاع أمله بعدما تعرّض له من اعتقال وتقتيل ونهب من طرف المستعمِر الأمر الذي جعله يعي أنّ الحريّة تؤخذ ولا تعطى، ففي ظلّ هذه الأجواء المشحونة ما كان على الأديب إلّا أن يدخل في خضمّ المعركة، وسلاحه الوحيد هو قلمه، فبعدما كان الأدب الجزائري في بداياته تقليدا للأدب الاستعماري،" أصبح الكتّاب يهتمون بفضح السياسة الاستعمارية التي تقوم على سلب الأرض، وتفكيك المجتمع، والقضاء على الهويّة الوطنيّة والثّقافية".[3]

---

[1] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته، تطوّره و قضاياه، ص 94.

[2] عايدة أديب بامية، تطوّر الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ص 60.

[3] Fouzia Ben Djelid, Le roman algérien de langue française, chihab editions, 2012, p 17.

ذكرنا أنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية كان طريقة لإثبات الذّات والإقرار بالكيان الخاص للإبداع الجزائري وهذا ما عبّر عنه **مولود فرعون** بقوله: "لقد كان "كامو" و"روبليس" أوّل من فتح لنا أفقا أدبيا كان مغلقا وذلك بمواهبهم الأدبيّة، وأنتم كنتم أوّل من قال لنا هكذا نحن فأجبناكم عندئذ هكذا نحن من جهتنا."[1]

وبعبارة أخرى سعت هذه الأعمال الأدبيّة إلى تصحيح الصّورة التي كانت ترسمها الكتابات السّابقة والتي يظهر فيها الإنسان الجزائري على أنّه كائن متوحش وبدائي. لذا فلا بأس أن نأخذ بعض النّماذج من هذا الأدب لنرى مدى ارتباط موضوعاته بالمجتمع الجزائري:

1- **مولود فرعون:** تناول في رواياته مشكلة الجوع والفقر ومشقّة خدمة الأراضي الجبلية بالوسائل التّقليدية، كذا معاناة الفلاح والهجرة وما ينجرّ عنها من مشاكل عائلية واجتماعية في قرية من قرى القبائل، وركّز على خصوصية المكان وهويّته الثّقافية.

2- **محمد ديب:** تعرض هذا الكاتب للمشكل نفسه في "الدار الكبيرة" مع اختلاف المكان فأحداث ثلاثيته"الجزائر" تدور في مدينة تلمسان حيث يرصد لنا يوميات أسرة جزائرية أنهكها البؤس، وما هذه الأسرة إلا خليةّ من مجتمع مشحون بالأزمات وقابل للانفجار.

3- **مولود معمري:** تناول مشكل الصّراع بين جيلين، جيل متشبّع بالثّقافة الأصيلة وجيل مثقّف كوّنته المدرسة الفرنسية، وكذا أثر الحرب العالمية الثّانية على المجتمع الجزائري، وتفشّي الفقر، وضآلة المنتوجات الزّراعية.

4- **كاتب ياسين:** من أشهر أعماله رواية"نجمة" التي تناول فيها عيّنة من المجتمع الجزائري وهم شبّان تعّرضوا للسّجن في أحداث 8 ماي1945م ثمّ للاستغلال من طرف معمر كانوا يعملون لديه، وكلّ واحد منهم تربطه علاقة "بنجمة" التي كانت ترمز إلى "روح الجزائر في شخصيّة امرأة".[2]

الملاحظ أنّ كلّ هذه الإبداعات، على اختلاف مستواها وتنوّع أدواتها، تحمل هموما مستقاة من المجتمع الجزائري، حتى ولو كان البعض لم ينتقد السّياسة الاستعماريّة بشكل مباشر

[1] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ص 58.

[2] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 73.

لكنّه ذكر نتائجها ووصف أخطاءها، وعلى حدّ قول **مولود فرعون** "هؤلاء الكتّاب يريدون تشخيص الدّاء من أجل الوصول إلى الدّواء."[1]

لقد اختلف النّقاد في قضية تصنيف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، فالبعض أدرجه ضمن الأدب الفرنسي لأنّه مكتوب باللّغة الفرنسية، والبعض الآخر رأى أنّ الواقع الذي يصوّره واقع جزائري، والذّات التي أنتجته جزائرية ولم تكن اللّغة إلا وسيلة طيّعة لإيصال الرّسالة لا غير.

1- **رايمون كينو Raymond Queneau:** صنّف هذا النّاقد الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية في الجزء الثّالث من كتابه Histoires des littératures في الأدب الملحق وهو الجزء الذي يخصّص فيه مكانا لأدب شمال إفريقيا.[2]

2- **شارل بون:** يرى أنّ هذا الأدب مزدوج الهويّة فهو يتغذّى على ثقافتين العربيّة والغربية مجمل أفكاره عربيّة ولغته غربيّة.

3- **جاكلين أرنو Jakelinne Arnaud:** تقول هذه النّاقدة إنّه يجب أن يدرج الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية ، ضمن الأدب العربي المعاصر كون الكتّاب الجزائريين يشبهون الكتّاب العرب إذ تجمعهم تقاليد فنيّة مشتركة.[3]

تكاد تجمع هذه الآراء على ازدواجية الهويّة للأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية كونه يشمل على محتوى ثقافي جزائري عُبّر عنه باللّغة الفرنسية، وليست اللّغة وحدها الدّليل الوحيد على هويّة الأعمال الأدبيّة، فالشّخصيات والمكان أيضا يؤديان دورا مهمّا في تحديد انتماء الأعمال الأدبيّة.[4]

إنّ الشّخصيات في هذه الرّوايات جزائرية، والمكان عبارة عن قرى ومدن جزائرية، ولقد جسّد هذا المنحى **محمد ديب** في ثلاثيته حيث بيّن أنّ اللّغة الفرنسية تأخذ طابعا مختلفا تحت أقلام الكتّاب الجزائريين، فنجده قد استعمل كلمات عربية شرحها في تذييلات مثل "Maida" أو"مائدة"

---

[1] Jean Déjeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, office des publications universitaire, Hidra , Alger, ED 1982, p 95.

[2] http/ insaniyat.revues.org/8261, 18-02-2016.

[3] Ibid.

[4] www.asswat el-chamal.com, 18-02-2016.

وهي طاولة مستديرة منخفضة تأكل عليها الأسرة المسلمة، وكلمة "Derbes" وهي أزقّة ضيّقة ملتوية،[1] كما استعمل التّرجمة الحرفية لبعض التّعابير العربيّة مثل: la fièvre noire t'emporte يقابلها بالعربيّة الحمّى السّوداء تأخذك.

كذا: Enfant de malheur, que la fièvre te dévore, et que je te perde un jour ويقابلها بالعربيّة الحمى تأكلك، إن شاء الله أعدمك.[2]

الشّيء نفسه قام به **مولود فرعون** حين وظّف الحكم والأمثال المستمدّة من التّراث القبائلي حينا ومن التّراث الإسلامي حينا آخر، ففي "الأرض والدم" يقول: "إن الله يعلم ما في البغل حتى جرّده من القرون"، أو " Dieu à bien fait d'avoir privé l'âne de cornes" كذا قوله: "voiler le soleil d'un tamis" ويقال لمن يريد أن يخفي أشياء واضحة وضوح الشّمس.[3]

لقد كان هدف هؤلاء الكتّاب من خلال هذه الطريقة في الكتابة التّأكيد على الهويّة الأمازيغية والعربيّة الإسلامية لمؤلفاتهم على الرّغم من استعمالهم للغة الآخر.

أما موقف **عبد المالك مرتاض** فهو مختلف عن هؤلاء إذ يرى أنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية قد فقد هويّته لا لشيء إلا لأنّه قد كُتب بلغة المستعمِر فيقول: "إنّ هذا الأدب سيء جدّا لأنّه غريب عن هويّته وأرضه."[4]إنّ اللّغة كانت الوسيلة التي استعملتها فرنسا لجذب النخبة المثقّفة التي أصبحت تكتب بلغتها لذا فلا يعدّ إنتاجها الأدبي إنتاجا جزائريا أصيلا.

والحقيقة أنّ الآداب الأخرى حافلة بأسماء كتبت إما بالفرنسية أو بالإنجليزية أو غيرهما دون أن يُعتبر أدبهم إنجليزيّا أو فرنسيّا ومثال على ذلك: **جبران خليل جبران وجورج شحادة** من لبنان و**أندري شديد** من مصر،[5] لأنّ العقل الذي أنتج هذا الأدب عقل عربي له نظرته الخاصّة إلى الحياة متأثرا في ذلك بثقافته وتاريخه وبيئته الإجتماعيّة.

---

[1] ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 257.

[2] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] www.asswat el-chamal.com, 18-02-2016.

[4] نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ط 1، دار الملايين، 1981، ص 278.

[5] www.asswat el-chamal.com, 18-02-2016.

ولو كانت اللّغة هي التي تحدّد هويّة الإنتاج الأدبي وجنسيته دون أدنى اعتبار لمؤثرات أخرى لما اختلف الأدب المكتوب من طرف جزائريين أصليّين عمّا كُتب من طرف كتّاب من مواليد الجزائر وهذا ما سنراه لاحقا.

2- الكتّاب الجزائريون والكتّاب الأوربيون مواليد الجزائر:

إنّ كلّ من الكتّاب الجزائريين والكتّاب الأوربيين مواليد الجزائر اتّخذوا الجزائر كأرضية لرواياتهم، واستعملوا اللّغة الفرنسية للتّعبير عن أفكارهم إلا أنّ الاختلاف يبدو واضحا في طريقة تناول القضايا المطروحة فمثلا **ألبير كامو** في روايته "الغريب" كان يتحدّث عن الجزائر من حيث شمسها المشرقة وحرارتها المرتفعة "أما الإنسان الجزائري فلم يشر إليه إلاّ من خلال علاقته بالإجرام ويعبّر عنه "بالعربي" وهو رجل بلا وجه".[1]

أما في رواية "الطاعون" فنجده يتبنى خطابا آخر، وضميرا نحويا آخر، فهو يعبّر عن الجزائر بكلمة "بلادنا" ووهران "بمديتنا"، يكاد القارئ يظن أنّها مدينة فرنسية، لكنّه في المقابل لم يذكر أيّ ضحيّة جزائرية لمرض الطاعون، وقد عاتبه على صمته ذلك **مولود فرعون**.[2]

بينما ينطلق **محمد ديب** من عمق الواقع الجزائري ، ويغوص في أعماق هذا الإنسان المضطهد ليرسم لوحة تحمل آلام الشّعب، وصرخة نسائه، وضياع أطفاله، وتطلّعات مناضليه.

مع أنّ هناك من الكتّاب الفرنسيين من تناول مواضيع جزائريّة واقترحوا حلولا أمثال **إمانويل روبليس وجول روا وجان بليجري** لكنّهم لم يتكلموا باللّهجة نفسها والمرارة نفسها لأنّ الكتّاب الجزائريين هم الثّمرة المباشرة لأرضهم، فقد جاؤوا من أعماق التّاريخ، "وارتبطوا بالأمّة الجزائريّة روحا وجسدا في حين أنّ الفئة الأخرى متمسكة بالأرض فقط باعتبارها وطنا بديلا عن الوطن الأمّ."[3]

---

[1] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 52.

[2] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3-علاقة الكتّاب الجزائريين باللّغة الفرنسية.

اختلف الكتّاب النّاطقون باللّغة الفرنسية في كيفية تعاملهم مع لغة الآخر، فمنهم من كان يرى الأمر في غاية التّعقيد، ومنهم من تعامل مع لغة المستعمِر بكل سلاسة ومرونة، **فمالك حداد** قد صرّح أنّه يحسّ بالغربة عندما يكتب بالفرنسيّة، حيث يجد صعوبات في تحويل فكرة من اللّغة العربيّة إلى اللّغة الفرنسية، يقول: "مهما حاولت أجد نفسي مرغما على تغيير أفكاري"[1] فهو يفكّر بلغة ويكتب بلغة أخرى ولم يستطع أن ينسّق أفكاره بين هاتين اللّغتين. هذا إلى جانب موقفه من لغة الآخر كونها لغة المستعمِر فهو يصرّح: "إنّنا نكتب بلغة الذين كانوا أعداء لنا في حرب التّحرير لذا يجب أن نختفي"[2]، لأن في ذلك ما يساعد على استعادة اللّغة العربيّة مكانتها. ففي نظره المحتل الحقيقي ليس **بيجو** بل **موليير** الذي كان دوما يلازمه.[3] فالتّعامل مع لغة ما على مستوى الإبداع يمكن أن يتحوّل إلى طريق نحو الذّوبان في ثقافتها.

أما **جون عمروش** فهو يشبّه الإنسان المستعمَر والمرغم على التّعبير بلغة غير لغته الأصليّة بالطفل غير الشّرعي الذي ينتفع بلغة وحضارة ليست ملكه، ولا تربطه به أيّة صلة.[4] لذا عاش **جون عمروش** صراعا داخليّا وتمزّقا فظيعا في هويّته الأصليّة واللّغة التي يبدع بها، يقول في إحدى مقالاته إنّه حاول طوال حياته أن يوفّق بين فكرين وثقافتين ولغتين: اللّغة الفرنسية وهي في نظره التي كوّنت كيانه ومعلّموه الأوّلون أمثال **بودلير، راين، مالرمي...** لكنّه لم ينس أنّه جزائري وروحه متشبّعة من التّراث الأمازيغي العريق[5]، وكان يحاول دوما أن ينتقل بين هاتين الحضارتين اللتين شكّلتا شخصيّته وصقلتا موهبته.

---

[1] Jean Déjeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, p 83.

[2] Ibid, p 83.

[3] Voir: Ibid, p 83.

[4] Voir: Fouzia Ben Djelid, Le roman algérien de langue française, p 96.

[5] Voir Réjane le beaut, Jean El_Mouhoub Amrouche, Algérien universel Alterdi, Mars 2006, p 311.

في المقابل، نجد من الكتّاب من لم يلق أي مشكل في التّعامل مع اللّغة الفرنسيّة، فعلى سبيل المثال **محمد ديب** الذي يقول إنّه لم يشعر يوما بالتمزّق وهو يكتب بلغة المستعمِر، وعلى كل حال لم يكن لديه الخيار فإما أن يعبّر ويكتب باللّغة الفرنسية أو يصمت.[1]

إنّ **محمد ديب** اتّخذ موقفا إيجابيا من اللّغة الفرنسية فهو يرى أنّ تكوينه في المدرسة الفرنسية وانتماءه إلى الثّقافة المغاربية يُعدّ عامل ثراء بالنسبة له. ثمّ كتب شيئا آخر في تقديمه للطّبعة العربيّة المترجمة لثلاثيته، حيث قال إنّ كل كلمة يخطّها بالفرنسيّة هي بمثابة رصاصة يقذف بها صوب قلبه.

إنّ الكتابة باللّغة الفرنسيّة حسب **كاتب ياسين** ضرورة تاريخية وهذا لا يتعارض مع هويّته الثّقافية، فاللّغة الفرنسيّة لا يمكن أن تحلّ محلّ اللّغة الأمّ (العربيّة الدّارجة، الأمازيغية) لكنّها كانت أداة للانفتاح والحريّة،[2] كون اللّغة الفرنسية أكثر انتشارا في العالم وأكثر حضورا في المؤسّسات الرّسمية، ويتمّ عن طريقتها إسماع صوت الشّعب الجزائري للعالم.

ونخلص إلى أنّ الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية جزائري بامتياز، فعلى الرّغم من استعماله لغة الآخر كأداة للتّعبير إلا أنّه كان يحمل في طياته هموم الإنسان الجزائري كذا مظاهر مختلفة من الثّقافة الجزائرية، وبالتّالي يختلف عن الأدب المكتوب من طرف الفرنسيين في شكله ومضمونه.

4-التيارات الأدبية السّائدة في الجزائر:

1- تيار الجزأرة L'Algérianisme: من أبرز روّاد هذا التيار "لويس برتران" Louis Bertrand و "جون بوميي" Jean Pomier، لقد أرادا أن يؤسّسا أدبا مستقلا بذاته خاص بالفرنسيين الذين وُلدوا في الجزائر، ويعبّر عن انشغالاتهم، ولقد خصّت له مجلة وجوائز لغرض تشجيعه.[3] كما أراد هذا الّتيار بعث الثّقافة والحضارة الرومانيتين بحجّة أنّ الجزائر كانت في السّابق مقاطعة رومانية، لذا يرى أنّ الاحتلال كان استعادة لأرض كانت في

[1] Voir: Jean Déjeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française, p 81

[2] Voir: Ibid, p 85.

[3] Voir Fouzia Ben Dejlid, le roman algérien de langue française, p 34.

الأصل تابعة للغرب. ويقدّم الإنسان الجزائري على أنّه" إنسان بدائي همّه الوحيد هو الهدم لا التّعمير، وينفي أي علاقة تربطه بأرضه ووطنه".[1]

يتحاشى هذا التيار ذكر الوجه الآخر للاحتلال الفرنسي والذي يتمثّل في نهب الأراضي وأخذها من أصحابها ومعاناة الشّعب الجزائري من التّشريد والتّقتيل والحرمان والتّجويع.

لقد سمح هذا التيار بظهور أدب إفريقي جزائري باللّغة الفرنسية، وأسهم في ظهور فنّي الرّواية والمسرح في الفضاء الإبداعي المغاربي.

2- مدرسة الجزائر L'école d'Alger: كان منطلق هذا التيار هو انتشار الأفكار الدّاعية إلى "السّلام والتّسامح في السّاحة السياسية والثقافية بفرنسا في فترة ما بين الحربين العالميتين".[2] وذلك بقيادة **رومان رولان** Roman Rolland الذي كان يدعو إلى اللاعنف والتآخي بين الشّعوب.

سعت "مدرسة الجزائر" إلى الابتعاد عن التناحر السياسي والإيديولوجي الذي كان يمزّق المجتمع الجزائري والمجتمع الفرنسي في فترة حسّاسة جدّا ألا و هي فترة الإعلان عن بداية الحرب العالميّة الثّانيّة.[3]

أهم أعلام هذا التيار هم **إيمانويل روبليس وألبير كامو ومارسيل موسي وكلود فريمينفيل** وهم كتّاب ولدوا بالجزائر، لكنّهم لم يتطرقوا في إبداعاتهم للمشاكل الاجتماعية والسّياسية التي كان يتخبط فيها المجتمع الجزائري بل كان اهتمامهم منصبا على القيّم التي توحّد شعوب البحر الأبيض المتوسط هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كانوا يمجّدون الطّبيعة السّاحرة للجزائر، الشّواطئ الزّرقاء، الصحراء الذّهبية، الجبال الخضراء... كما يجدر الإشارة إلى" أنّ أحداث هذه الرّوايات غالبا ما تدور في المدن السّاحلية لا المدن الدّاخلية."[4]، المدن التي استهوت الأوربيين منذ دخولهم الجزائر.

---

[1], Fouzia Ben Djelid, le roman algérien de langue française p 36.

[2] Ibid, p 41.

[3] Voir Ibid, p 42.

[4], Ibid, p 44.

ما يمكن استخلاصه، هو أنّه إذا كان تيار الجزأرة يمجّد الأصول اللاتينية للجزائر، باعتبارها كانت في يوم من الأيام مقاطعة رومانية، فإنّ مدرسة الجزائر قد نادت بالحوار بين الشّعوب على اختلافها، وفتحت المجال للسّكان الأصليين للتّعبير عن مشاغلهم، ومكّنتهم من نشر أعمالهم سواء في الجزائر أو فرنسا.

الفصل الأوّل:

المثقّف/ الذّات السّاردة في الهضبة المنسية.

1 – حول السّرد والسّارد.

2– السّارد المتكلّم في "الهضبة المنسية".

3 – شباب القرية والمدرسة الفرنسية.

4–"مقران "مثقّف الهضبة المنسية.

5–صراع المثقّف مع مجتمعه الأصلي.

6– أثر الحرب العالمية الثانية على القرية

تبلورت الرّواية في القرنين التّاسع عشر والعشرين، وأصبحت: «شكلا لتعدّد الأصوات واللّغات، وتنوّع الملفوظات وصراع المواقف الإيديولوجية» [1]، حيث ذاب الصّوت العارف بكلّ شيء تحت وطأة تفاعل الأصوات.

تمّيزت الرّواية عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى كالشّعر بالتعدّد الصّوتي واختلاف الرّؤى والمواقف بين الشّخصيات الرّوائية، وتباينت وجهات النّظر حول تعدّد الأصوات في الرّواية فالبعض يرجعها إلى: «تطوّر المجتمعات في أوروبا وفي الوطن العربي، وذلك بتحوّل المجتمعات من الطبقية والإقطاع والأرستقراطية إلى نشأة البرجوازية والاحتكار والمدينة، وتطوّر المجتمعات»[2].

فاضمحلال الديكتاتورية وتلاشي لغة القمع، أثّر إيجابا في تطوّر الرّواية؛ حيث دخلت عهدا جديدا، يسوده الانفتاح والبوليفونية.

وقد تناول النّقد الحديث إشكالات الرّواية فنجد إشكالا أوّل: «من يرى؟ (بمعنى الإدراك والمعرفة) وإشكالا ثانيا: من يتكلم؟ فالصّوت هو الصّوت المتكلم عينه، «ومثلما واجه علم اللّغة صعوبة في تفسير علاقة القول بقائله يواجه النّقد صعوبة مماثلة في تفسير علاقة السّرد بساردة بسبب الخلط الذي يقع بين السّارد والكاتب أو بين المروي له والقارئ أو باستبدال السّارد براو آخر» [3].

فيما يرى البعض الآخر أنّ رواية تعدّد الأصوات والتّمرد على الرّاوي العالم بكلّ شيء موجود منذ القديم: «فقد سبق إليها أرسطو وأفلاطون، وقد امتدح أرسطو اختفاء الرّاوي بسبب الأصوات على الرّغم من الانتماء إلى المجتمع الطبقي آنذاك»[4].

---

[1]– ميخائيل. باختين، الخطاب الرّوائي، تر/ محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، ، 1987، ص1.

[2]–حسن عليان، تعدّد الأصوات والأقنعة في الرّواية العربيّة، مجلة جامعة دمشق، مج24، 2008، ص168.

[3]– ميخائيل باختين، شعرية ديستوفسكي، تر: ناصف التركيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص2.

[4]–محمد نجيب التلاوي، وجهة النظر في روايات الأصوات العربيّة، منشورات اتحاد كتاب العرب، 2000، ص13.

1- حول السّرد والسّارد:

السّرد، عموما، هو الطريقة التي تروى بها القصّة ويقوم على دعامتين أساسيتين: [1]

أولهما: أن يحتوي على قصة ما تضمّ أحداثا معينة.

ثانيتهما: أن تعيّن الطّريقة التي تحكى بها تلك القصّة، ذلك أنّ القصّة يمكن أن تحكى بطرق متعددة.

يقول **غولفغانج كايسر**Wolfgang Kayser: "إنّ الرّواية لا تكون مميّزة فقط بمادتها ولكن أيضا بواسطة هذه الخاصّية الأساسية المتمثلة في أن يكون لها شكل ما، بمعنى أن يكون له بداية ووسط و نهاية."[2]أي أنّ الرّواية لا تتعدّد فقط من خلال مضمونها بل من خلال الطّريقة التي يستعملها السّارد في تقديم الأحداث والتي يهدف من خلالها إلى إيصال فكرة معيّنة للمروي له.

والسّرد أنواع، فقد ميّز النّاقد الروسي **توماشفسكي** بين نمطين من السّرد:[3]

أ-**السّرد الموضوعي (objectif)** : يكون السّارد محايدا لا يفسّر الأحداث يصفها كما يراها، و يترك الحريّة للقارئ ليفسر ما يحكى له.

ب-السّرد الذّاتي (Subjectif) : تقدم الأحداث من زاوية نظر السّارد فهو الذي يخبر بها و يؤولها حسب وجهة نظره الخاصّة.

أمّا السّارد أو الرّاوي فهو الشّخصية الورقية التي يوكل إليها المؤلّف مهمّة نقل رؤية محدّدة أو وجهة نظر معيّنة، كذا "تقديم الشّخصيات وسماتها وملامحها وعلاقاتها وتناقضاتها ويقدم الوقائع المتعاقبة والمتداخلة والخلفية الزّمانية والمكانية للشّخصيات والأحداث."[4]

فالسّارد إذن ركن مهمّ من أركان العمل الروّائي، وهو الذي يسرد الأحداث، يسهب ويحذف ويختزل ، ويصف المكان، ويقدّم الشّخصيات، ويذكر صفاتها الدّاخلية والخارجية...

---

[1] ينظر: حميد الحمداني، بنية النص السّردي، ضميرط 3، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع، 2000، ص 45 .

[2] المرجع نفسه، ص 46.

[3] المرجع نفسه، ص 47.

[4] هيام شعبان، السّرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر و التوزيع، الأردن، د ط، 2004، ص 75.

يختلف السّارد من رواية إلى أخرى حسب المهمّة التي أوكلت إليه من طرف المؤلف قد يكون:

-**ساردا مشاركا** في الرّواية أي أنّه أحد أبطالها، عادة ما يستعمل ضمير المتكلم الذي يحيل إلى الراوي، كما يتميّز السّارد بقربه من القارئ والأحداث.

- **ساردا عليما** وهو السّارد الذي لديه القدرة على معرفة العوالم السريّة للشّخصيات وما يدور في أذهانهم، "ويُعدّ هذا السّارد أكثر شيوعا في الرّوايات الكلاسيكية".[1] وهو نوعان:

أ-**السّارد العليم المحايد:** مهمته رصد الأحداث والشّخوص والمكان دون أي تدخل منه، وهو يكثر الحديث عن الآخرين ولا يتحدث عن نفسه "ويستعمل ضمير المخاطب والغائب دون المتكلم".[2]

ب-السّارد العليم المنقح: هو السّارد الذي يتدخّل في السّرد ليتحقق من صحّة الحدث ويتأكد من أهداف الشّخوص، إنّ هذا السّارد يقيم علاقة مباشرة بالمتلقّي تشبه "علاقة الحكواتي بجمهوره، كما أنّ تدخّل هذا السّارد تجعل صوته هو صوت المؤلف نفسه".[3]

ونجد تداخلا كبيرا بين السّارد والمؤلف، وقد يتماهى السّارد بالمؤلف أي أنّ الكاتب يتحدث عن نفسه باستخدام سارد وهميّ.[4] فالطفل " فورولو منراد" الذي كان ساردا للقصّة وناقلا لأحداثها في رواية"ابن الفقير"هو **مولود فرعون** الكاتب.

تقوم بعض الأعمال الرّوائية على تعدّد السّاردين حيث يتعدّدون في رواية واحدة ويكون عددهم بعدد الشّخصيات وتسمى "رواية وجهات النّظر" يحمل كل فصل من فصول هذا العمل الرّوائي اسم السارد الذي سيتولى مهمة السّرد من وجهة نظره الخاصّة.[5]

---

[1] ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط 1، 2010، ص 78.

[2] المرجع نفسه، ص 81.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 88.

يسمح هذا النّوع من الرّوايات ، برصد عدد لا بأس به من المواقف والآراء المختلفة عكس الرّواية الكلاسيكية ،التي كان يهيمن فيها سارد واحد على مجمل السّرد.

– **المنظور السّردي ووجهة النظر**: إن مسألة العلاقة مع الشّخصية ذات أهمية بالغة في النصّ الرّوائي،وقد حظيت هذه العلاقة باهتمام النّقاد، وصنّفها **جون بويون** في كتابه "الزمن والرّواية" في أنماط ثلاثة وهي[1]:

–**الرؤية من خلف**: تستعمل هذه الرّؤية في الرّوايات الكلاسيكية ويغلب فيها السّرد بضمير الغائب، كما تتساوى فيها الشّخصيات ويسيطر السّارد على عالم الرّواية ،لأنّه كامل السّلطة فهو الذي يعلم كل شيء على شخصياته بما في ذلك أعماق نفسياتهم، ويرمز لهذه الرّؤية برمز: السّارد >الشّخصية.

–**الرؤية مع**: في هذه الرّؤية يتساوى السّارد مع الشّخصية أي يتعادل، وتتميّز هذه الرّؤية باختيار شخصية واحدة تكون مركز القصّة، وترى الآخرين انطلاقا منها و يرمز إلى هذه الرّؤية: السّارد = الشّخصية.

–**الرؤية من الخارج**: يكون السّارد في هذه الرّؤية أقل معرفة من الشّخصية إذ أنّه لا يعرف إلا ما يقع عليه بصره أو سمعه أو أدركته حواسه، أما رمز الرّؤية فهو : السّارد < الشّخصية.

– **تقديم الشّخصية**: يختلف الرّوائيون في طريقة تقديم الشّخصية، فنجد بعض الكتّاب يميلون إلى وصف الشّخصية ومظهرها وحركتها، بينما البعض الآخر يترك المجال للشّخصية لتكشف عن نفسها وهذا ما يشجّع عليه النّقد الحديث.[2]

ينطلق القارئ من كلام الشّخصية وتصرفاتها ليشكّل صورة متكاملة عنها وعن طبعها. ومنه نخلص إلى أنّ الرّوائي يقدّم الشّخصية بطريقتين مختلفتين هما:

–**الطريقة المباشرة أو التّحليلية**: هي طريقة تعتمد على الوصف الخارجي للشّخصية، تحليل عواطفها وأفكارها، و يتدخل المؤلف ويصدر أحكامه.[3]

---

[1] ينظر: هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله، ص ص 80–81.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 123.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 122.

-**الطريقة غير مباشرة أو التّمثيلية:** يعطي المؤلف المجال للشّخصية لتكشف على نفسها عن طريق الحوار، كما يسمح الرّوائي للشّخصيات الأخرى لتصدر أحكامها وتعليقاتها عليها.[1]

الملاحظ أنّ الشّخصية تقدّم جاهزة للقارئ ليتعرّف عليها في الطّريقة الأولى أمّا بالنّسبة للطّريقة الثّانية فالرّوائي يدفع القارئ إلى استنتاج صفات الشّخصية من خلال سلوكاتها وكلامها.

2- السّارد /ضمير الأنا في "الهضبة المنسية".

تُعدّ "الهضبة المنسية" أوّل رواية للكاتب الجزائري **مولود معمري** نشرها عام 1952 م تناول فيها حالة المجتمع الجزائري عشيّة الحرب العالمية الثّانية وذلك من خلال قرية "تازقا" المعزولة بناسها ومكوّناتها والمنسيّة من طرف السلطات الاستعمارية، قرية يعاني سكانها الفقر والجوع، ويفتك بهم المرض والجهل.

يسرد الأحداث ساردان: الأوّل "مقران" وهو شخصية في الرّواية، ثم يتولى السّرد سارد آخر بعد وفاة مقران في عاصفة ثلجية في قمة "كويلال".

معظم أحداث الرّواية عبارة عن يوميات "مقران" وهو شاب ينتمي إلى عائلة ميسورة الحال وهو طالب في كليّة الحقوق ببوردو، لكن الحرب العالمية الثّانية حالت دون رجوعه إلى فرنسا لمزاولة دراسته.

"مقران" سارد متضمن حكائي أي شخصيّة من شخصيّات الرّواية بدأ سرده باستعمال ضمير المتكلم "نحن"، "الربيع عندنا لا يدوم طويلا"، وذلك ليعبّر عن هويّته ويكرّس انتماءه إلى هذه القرية، فهو جزء من هذا العالم الخاصّ. ثمّ استعمل ضمير المتكلم "أنا" ليحيل الكلام إلى ذات الإنسان الجزائري. فبعدما كانت النظرة فيما مضى من "الآخر" عبر ما كتبه الفرنسيون عند غزوهم للجزائر أصبحت النظرة من "الأنا" و"النحن" للتّعبير عن الخصوصية التي تميّز الإنسان الجزائري عن غيره، ولإثبات وجوده وإيصال صوته إلى العالم.

[1] ينظر: هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال ابراهيم نصر الله، ص122.

والسّرد بضمير المتكلّم يوهم بحقيقة الأحداث والشّخصيات، لا يكون السّارد خارج الرّواية بل شخصيّة مشاركة في صنع أحداثها، والقارئ يكون أكثر استجابة وفضولا نظرا لإحساسه بأنّ المسافة التي تفصله عن السّارد قد تقلصت وتلاشت.

لقد ابتعد **مولود معمري** عن الأسلوب التّعليمي في كتاباته لأنّه يرى أنّ هذا الأسلوب الذي يُعتمد غالبا في قصص الأطفال والنصوص التّربوية يبعث الملل لدى القارئ، لذا اتّخذ من أسلوب الإيحاء السّبيل للتّعبير عن أفكاره، فهو "يحكي دون أن يشرح".[1]

يسرد السّارد أحداث الرّواية دون أي تدخل منه ولو أنّه ضمنيا يتفطن القارئ إلى طبيعة موقفه من بعض السلوكات لكنّه لا يصرّح برفضه مباشرة تجنبا للصّراعات، وتفاديا للمشاكل.

استعمل الكاتب بعض التّقنيات في الكتابة أهمّها:

أوّلا: لم يكن السّارد عليما بكل أحداث الرّواية، وكانت الشّخصيات هي التي تخبره بما يجهله، فهو لم يكن يعلم سبب التغير المفاجئ الذي طرأ على مزاج ابن عمّه منّاش .

"لم يكن يظهر على ابن عمّي منّاش أنّه انفعل لما علم بأنّه كان عليّ أن أتزوج "عزي" فإلى وقت قريب كان يجدني أسعد النّاس في العالم ولكنّه تغيّر على الأقل بنفس القدر الذي تغيّرت به، كان منّاش، من يصدّق ذلك، قد فقد انشراحه ومرحه، كان ما يزال يلبس ثيابه بأناقة ويغيّر برنوسه المزركش مرتين في اليوم، إلا أنّه لم يعد يعرف معنى للضّحك."[2] أصبح "منّاش" مكتئبا حزينا، منعزلا عن أصدقائه، ويتساءل السّارد "مقران" عن سرّ هذا التّغيير المفاجئ:

" في الماضي، كنّا نذهب كل مساء إلى منزل " دافدا "زوجة" أكلي" لنفرغ كميّات من اللّبن لكن الآن منّاش عوض أن يأتي معنا يفضّل أن يمسك عصا رقيقة من الخزيران ويمشي لكيلومترات وحده."[3]

---

[1] عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة و التجربة، ترجمة محمد برادة، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط 1 2009 ص 61.

[2] المرجع نفسه، ص 60.

[3] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, El dar elothmania, Editions Algérie, 2015, p 11.

لم يجد "مقران" جوابا عن سؤاله إلا بعد أن درس الحالة النّفسية لمنّاش وعيّن التغيّرات التي طرأت عليها، وبعد ذلك أجرى حوارا معه، وعلم من خلاله بالعلاقة العاطفيّة التي تربطه "بدافدا" زوجة "أكلي".

كما قام "مقران" برصد تصرّفات "منّاش" مع "موح" الراعي، ولم يكشف عن العلاقة التي تربطهما إلا بعد مراحل مختلفة تتمثل في الملاحظة، الشكّ، التّقصي ثم اكتشاف ما لم يكن يتوقعه بمعنى أنّ السّارد توصّل إلى معرفة الحقيقة في الوقت نفسه مع القارئ.

"لم أكن أستطيع استيعاب ما كانا يتحدثان عنه كل مساء بهذه الطّريقة غير المتناهية."[1]

لا شك أنّ الهدف من هذه الطريقة في تقديم الأحداث هو تشويق القارئ ودعوته إلى التّفكير وإعمال عقله وإثارة فضوله.

ثانيا: يظهر لنا السّارد أحيانا أخرى عليما بكل شيء حتى أنّه يدرك ما في أعماق الشّخصيات من أفكار ونوايا، ويبرز ذلك في كلام "سكورا" لما طلبت من زوجها "إبراهيم" الإذن لها بالذهاب إلى أهلها من أجل مساعدتهم في إنجاز بعض الأعمال:

"سوف آخذ الأطفال وأذهب لأقضي بعض الأيام في بيت أهلي، فلقد مضى وقت طويل على زيارتي له، وقد تكون أمي بحاجة إليّ لإنجاز بعض الأعمال ."[2]

ويتدخل السّارد ليطلع القارئ على نيّة سكورا، فهي كانت توّد تخفيف العبئ على زوجها ولو لفترة قصيرة ويذكر ، في الوقت نفسه ، أنّ إبراهيم كان يدرك ذلك، وسكورا كذلك كانت تدرك أنّه يدرك:

"كانت سكورا تكذب، فذهابها إلى بيت أهلها كان من أجل تخفيف عبئ هذه الأفواه الكثيرة على إبراهيم."[3]

---

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 49.

[2] Ibid, p 108.

[3] Ibid, p108.

يعلم السّارد الحقيقة التي كانت تخفيها سكورا على زوجها، ولم تكشف عنها كي لا تجرح مشاعره وكبرياءه، وأفصح عنها السّارد للقارئ ليتمكن من معرفة شخصية سكورا، إنّها إنسانة صبورة ورحيمة بزوجها.

ثالثا: اختار السّارد أن يعطي الكلمة للشّخصيات لتعرّف بنفسها على نفسها من خلال الحوار بدل أن يقدّمها هو بنفسه، ومن خلال تعليقاتها وملفوظاتها يستنتج القارئ ملامحها ومستواها الثّقافي.

ف"أكلي" عندما قال لزوجته "دافدا":

"آه.. لقد لبست قفطانك القطني الزهري اللّون، إنّه كلفني 7000 فرنك."[1]

وأيضا عندما التقى مع "مقران" و"مناش" وبمجرّد إخبارهما أنّه عاد من حفل خطوبة "سكورا" و"إبراهيم" صرح:

"لقد حددنا قيمة المهر ب 10000 فرنك و 10 أكياس من القمح."[2]

نستشف من كلامه أنّه إنسان يهتم بالجانب المّادي على حساب كل ما هو معنوي، فهو لم يتردد في ممارسة التّجارة في السّوق السّوداء، ولم يدخّر مجهودا من أجل الربح والثّراء.

كما أظهر السّارد جانبا من جوانب شخصية "منّاش" كونه إنسانا مثقفا ومتعلّما وذلك من خلال الحوار الذي جرى بين "أكلي" و"مقران" و"مناش" حيث بادر "أكلي" بالسّؤال:"

" – عما كنتم تتحدثون يا شباب؟

أجابه"منّاش":عن سامسون ودليلة..."[3]

إنّ هذا الكلام لا يصدر إلا من إنسان مطّلع على الآداب المختلفة، "فسامسون ودليلة" إبداع مسرحي ألف عام 1877، واستعمل السّارد هذه التقنية لإيصال الفكرة إلى القارئ بطريقة مختصرة وذكية، أنّ "مناش" رجل متعلّم وذو ثقافة واسعة.

---

[1] مولود معمري، الهضبة المنسية نقلا عن عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ص 263.

[2] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p17 .

[3] Ibid, p 16.

تصل رسالة من "عزي" تخبر فيها "مقران" أنّها حامل وتنتظر مولودا، فيقرّر العودة إلى القرية لرؤية أهله ربما لآخر مرّة، لأنّ معظم الوحدات بدأت تغادر مكان تواجدها صوب إيطاليا أين كانت الحرب على أشدّها، فيموت في الطّريق على إثر عاصفة ثلجية. وينتهي بذلك "مقران" من سرد الأحداث ليتولى هذه المهمّة سارد ثان يشرح لنا تفاصيل موت "مقران" على قمة "كويلال" في طريقه إلى قريته لتوديع "عزي" وأسرته قبل مغادرة الجزائر.

لا يختلف السّارد الأوّل كثيرا عن الثّاني، إلا أنّ السّارد الثّاني سارد خارج حكائي أي أنّه ليس شخصية في الرّواية، لا مشاركة ولا بطلة، وقد استعمل ضمير الغائب(هو) بدل المتكلّم.

يبدو السّارد الثّاني أحيانا عليما بكل ما تفكّر فيه الشّخصيات، فمثلا عندما التقى "مدور" ب"مناش" في بيت "عزي" ظنّ أنّ هذا الأخير أتى ليفشل مشروع زواجه بأرملة "مقران"، ويتدخّل السّارد ليؤكد أنّ "منّاش" لا يستحسن فكرة هذا الزواج. وأحيانا أخرى يعطي السّارد الكلمة للشّخصيات وذلك باستعمال أسلوب الحوار وفسح مجال السّؤال والجواب أو الأخذ والرّد . والملاحظ، عموما، أنّ هناك استمرارية في طريقة سرد الأحداث رغم اختلاف السّارد.

حاولنا، بدءا، تعيين السّارديْن في رواية "الهضبة المنسية"، تموقعهما في الحكاية وعلاقتهما بأحداث القصّة، ننتقل الآن إلى الحديث عن علاقة شباب القرية بالمدرسة الفرنسية، ثمّ التّعريف بالمثقف حتى يتسنّى لنا ضبط ملامح السّارد المثقّف الذي تلقى تعليمه في المدرسة الفرنسية، واحتكّ عن قرب بالثّقافة الفرنسية...

3-شباب القرية والمدرسة الفرنسية.

بدأت فرنسا في تشييد المدارس بالجزائر ابتداء من 1872 أي مباشرة بعد ثورة **المقراني** 1871،[1] و قد تبلوّر هذا المشروع مع حلول 1881 على يد **جول فيري** (Jules Ferry) الحاكم العام للجزائر عام 1910 والذي صرّح" أنّ المدرسة الابتدائية التي تشيد في فرنسا هي بمثابة حجر

[1] Voir: Youcef Allioui, Les arches tribus berbères de Kabylie, l'harmattan éditions, France, 2006, p 125.

الزّاوية للجمهورية، أما نظيرتها في الجزائر فهي حجر الأساس للجمهورية ولهيمنة فرنسا على الجزائر".[1]

يوضح هذا الكلام الأهداف التي كانت الإدارة الاستعمارية تسعى إلى تحقيقها من خلال إنشاء مدارس فرنسيّة في الجزائر والتي تتمثل في غزو عقول أبنائها، وكذا التّرويج للرسالة الحضارية التي كانت تؤدّيها فرنسا في الجزائر.

حصرت الإدارة الفرنسية التّعليم ضمن دائرة ضيّقة وخضع قبول الأطفال في المدارس لمبدأ الأولويّات، "حيث كان يُقبل أبناء الفرنسيين أوّلا ثمّ أبناء الجالية الغربيّة الأوربية الموجودة في الجزائر (الإسبان، اليهود) ثم في المرتبة الثّالثة أبناء العائلات العربيّة الموالية للإدارة الفرنسيّة".[2]

لم يكن الإقبال كبيرا على الأماكن القليلة الباقية التي كانت تعرض على الجزائريين لأنّ أولياء الأطفال أدركوا أنّ الثّقافة الفرنسيّة كانت وسيلة أخرى لاستعمارهم والسيطرة عليهم.[3]

وتؤكد الإحصائيات أنّه 5% فقط من جملة 850000 طفل جزائري قد التحق بالمدرسة الفرنسيّة أي 47263 طفل في عام 1914 م وأخذت هذه النّسبة تتزايد ببطئ لتصل إلى 6% عام 1929 م أي 60644 من 90000 طفل، وأخيرا وصلت النّسبة إلى 18% عام 1954 عند اندلاع الثّورة التّحريرية.[4]

واقتضت الضرورة أن يلتحق الجزائريون بالمدرسة الفرنسية ويتعلّموا لغة المستعمِر التي أصبحت لغة الإدارة والمدرسة[5]، طمعا في الحصول على وظيفة تضمن عيشا ميسورا لعائلاتهم التي كان يهدّدها الفقر والجوع والبطالة.

---

[1] Fouzia BenDjelid, Le roman algérien de langue française, p 48.

[2] أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، ط 1، 2013، ص 53.

[3] ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ص 109.

[4] Voir: Ferenc Hardi, Le roman algérien de langue française de l'entre-deux-guerres, l'Harmattan éditions, 2005, p 17.

[5] Voir: Rabah Sebea, L'Algérie et la langue française ou l'altérite, édition Frantz Fanon, Tizi-ouzou, 2015, p 28 .

كان التّعليم السبيل الوحيد لتغيير قدر العديد من الجزائريين، الذين لا يجدون عملا آخر يمارسونه غير الفلاحة التّقليدية وتربية المواشي.

لقد عانى الطفل الجزائري المتمدرس من مشاكل عديدة ذلك أنّه كان يتعلّم بلغة غير لغته الأمّ، ولم تكن اللّغة الفرنسية متداولة في الوسط العائلي، فهو لم يكن يعتمد إلا على إمكانياّته الخاصّة ومعلّمه لأنّ الأولياء كانوا في غالبيتهم أمّيين، عكس الطفل الفرنسي الذي كان يتلقّى الدّعم والتّأطير من والديه.[1] مع ذلك استطاع الطفل الجزائري أن يتخطّى العقبات ويحقق نتائج مرضية وذلك بفضل إرادته وعزيمته وشدّة إصراره.

تخرج من المدرسة الفرنسية نخبة من مثقّفين جزائريين تأثّروا بالثقّافة الغربيّة فأصبحوا ممزّقين بين عالمين "العالم الغربي الذي دفعهم إليه منهجهم التّعليمي ومجتمعهم التّقليدي الرّافض لأي تغيير."[2] فتكوينهم في المدرسة الفرنسية وانفتاحهم على الحضارات الأخرى أثّر على رؤيتهم للحياة وعمّق الهوّة بينهم وبين مجتمعهم الأصلي.

ينقسم شباب القرية في "الهضبة المنسية" إلى جماعتين:

1- جماعة "واعلي": وهي في معظمها تتكوّن من شباب فقير ومعدم وغير متعلّم، يقيم أعضاء هذه الجماعة حفلات (سحجة) كل ليلة ليروّحوا على أنفسهم.

2- جماعة "تعساست": كلمة تعساست تعني مكان الحراسة أي بناية صغيرة تقع في أعلى القرية، يجتمع فيها شباب تعساست وهم جماعة مثقّفة وكلّ عناصرها ينتمون إلى عائلات ميسورة الحال، وتضم فتاتين "عزي" و "سكورا".

تلقى أعضاء هذه الجماعة تعليما فرنسيا "فهم يتكلمون اللّغة الفرنسيّة، يقرؤون الجرائد ويكتبون الرّسائل، فهم يرمزون إلى كلّ ما هو حديث."[3]

---

[1] Voir: Christiane Achour, Anthologie de la littérature algérienne de langue française, ENAP_Bordas, Paris 1990, p 25.

[2] عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925 – 1967)، ص 110

[3] Larbi Oudjédi, Rupture et changement dans la colline oubliée, Edition Achab, Tizi-ouzou, Algérie, 2009, p 22.

أعضاء جماعة "تعساست":

-"**مقران**": شاب مثقّف وطالب في كليّة الحقوق بفرنسا وابن أحد مالكي الأراضي بالقرية يلاحظ ما يحدث حوله، ولا ينتقد مجتمعه بشكل مباشر.

-"**منّاش**": هو ابن عم "مقران" ينتمي إلى أسرة ميسورة الحال، وهو أيضا طالب بكليّة الحقوق بفرنسا، متأثر كثيرا بالثّقافة الغربيّة، يعبّر عن رأيه علنا، وينتقد بعض سلوكات أهل القرية بحدّة.

-"**مدور**": متخرّج من مدرسة المعلّمين، ابن عائلة ثريّة، محبّ للحياة العصرية.

-"**سكورا**": أخت "مدور"، وعنصر لا يمكن الاستغناء عنه في تعساست، فهي المرأة المحافظة على التّراث الأصيل وتحفظ الكثير من الشّعر القبائلي.

-"**عزي**": هي زوجة "مقران" تعرف القراءة والكتابة، تحدّت العرف الذي يرغم المرأة على الزّواج بعد ترملها، وقرّرت أن تعيش من أجل ابنها وتصون العهد الذي قطعته لزوجها وهو الاعتناء "بتعساست".

-"**إيدير**": من أغنى شباب القرية وابن تاجر مواشي، يعرف القراءة والكتابة، ومحبّ للفنّ والحريّة.

لقد جعل **مولود معمري** تعساست مكانا يحمل أكثر من دلالة، إنّها تشرف على قرية "تزقا" والقرى المجاورة لها، ومنها تراقب النخبة المثقّفة الأوضاع وتسعى لتغييرها عبر محاربة بعض الأعراف والتّقاليد البالية.

4- "مقران" مثقّف الهضبة المنسية.

يجد المتأمّل في روايات **مولود معمري** أنّه يوظّف شخصية المثقّف شخصيّة محورية، ويطرح من خلالها مشكلات المجتمع، وقضايا الواقع .

وعلى الرّغم من الوضع المأزوم لشّخصية المثقّف المستعمَر ونهايتها المثيرة في روايات **مولود معمري** على غرار "الهضبة المنسية" و"سبات العادل" تظلّ شخصية مركزية، تقرأ الراهن وفجواته وتنقد الواقع المثقل بالصراعات الظاهرة والخفيّة، إنّها تعي جيّدا ما يدور حولها من تناقضات والتباسات وتجاوزات...

تعريف المثقّف: لقد اختلفت التّعريفات التي وضعت لكلمة "مثقف" باختلاف مرجعيات أصحابها، فكل عرّف هذه الكلمة من زاويته الخاصّة، لكن يكاد يجمع الكلّ أنّ جذور هذه الكلمة غربيّة وهي ترجمة للكلمة الفرنسية – intellectuel – التي يرجع استعمالها إلى أزيد من قرن.[1]

إنّ كلمة مثقّف التي وضعت حديثا لا تحيل إلى الفّكر والرّوح بل إلى لفظ ثقافة والتي يقابلها بالفرنسية – culture – التي تدّل، في معناها الأصلي، على فلاحة الأرض كما تدّل على المعارف المكتسبة التي تمكّن من تنمية ملكة النّقد والذّوق والحكم.[2] أي أنّ القدرة على غربلة الأشياء والفصل بين الجيّد والرديء لا يأتي إلا إذا توفر لدينا رصيد لا بأس به من العلم والمعرفة.

يعتبر **غراميشي** من الأوائل الذين اشتغلوا على تأطير مفهوم المثقّف وتحليله، فهو يرى أنّ المثقّف هو ذلك "الإنسان الذي ينجز مجموعة معيّنة من الوظائف في المجتمع."[3]ويضمّ التّعريف كل من له نشاط فكري يكسبه وظيفة ضمن مجتمع معيّن ولحظة تاريخية معيّنة سواء كان فنانا كاتبا، طبيبا أو معلّما.[4]

الملاحظ أنّ علاقة المثقّف بالمجتمع حسب هذا التّعريف علاقة محاصرة، مؤطّرة تفتقر إلى الحريّة التي هي سمة المثقّف "لأن المثقف الحقيقي حسب رأي **سارتر** هو الذي يرفض أن يقولب على هذه الشاكلة أو تلك".[5]

أما **عبد السلام الشّاذلي** فيرى أنّ المثقّف هو "رجل العلم والمعرفة والموقف الحضاري العام تجاه عصره ومجتمعه".[6]وقد لخّص لنا **عبد السلام الشاذلي** سمات المثقّف في النّقاط التّالية:

.النزعة العلمية والمنهجية.

.الرومانسية التي تعبّر عن النّزعة الفردية.

---

[1] ينظر: محمود محمد أملودة، تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث، عالم الكتب الحديث، ط 1، أربد الأردن 2010، ص 29.

[2] ينظر: محمود محمد أملودة، تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث ، ص 30.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 50.

[5] المرجع نفسه، ص 49.

[6] عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية الحديثة، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1985، ص 27.

.التمرّد أو الثّورة.

.الشّعبية: أي قربه من المجتمع بمختلف طبقاته.[1]

إنّ أبرز من اهتم بقضية تصنيف المثقّفين هو **غراميشي** الذي قسّم هذه الفئة المفكرة إلى نوعين:

-**المثقّف العضوي:** وهو دائم التنقل والتشكّل، وأشدّ ارتباطا بالمؤسسات التجارية التي تستخدم المثقّفين لتنظيم مصالحها واكتساب المزيد من القوّة والسيطرة.[2]

-**المثقف غير العضوي:** يشمل المعلمين، رجال الدّين، الإداريين الذين يؤدون العمل نفسه من جيل إلى جيل.[3]

إنّ كلّ من المثقّف العضوي وغير العضوي يؤدي دوره في المجتمع، ولكلّ منهما أسلوبه الخاص وطريقته الخاصة.

يظهر لنا المثقّف السّارد/"مقران" في "الهضبة المنسية" إنسانا استطاع أن يوازن بين تكوينه في المدارس الفرنسية وتربيته التي تشبّعت بالتّقاليد والعادات الأصيلة، ونتلمس ذلك من خلال موقفه الرافض للعلاقة بين مناش" و"دافدا" زوجة "أكلي"، كذا علاقته الشاذّة "بموح الراعي" فعلى الرّغم من كون "مقران" و"منّاش" يدرسان في الكليّة نفسها، وينتميان إلى الطبقة الاجتماعية نفسها، والعائلة نفسها إلى أنّنا نسجّل اختلافا واضحا بينهما في كيفية تعاملهما مع بعض القضايا المطروحة.

-**"مناش" وعلاقته ب"دافدا" المتزوّجة و"موح" الرّاعي:**

"سرّ السّعادة هو أن نعمل أي شيء متى رغبنا في ذلك."[4]

تلك هي فلسفة "منّاش" في الحياة أي أنّه يزيح كل الحواجز أو المحظورات الاجتماعية أو الدينية أمام الإنسان ليعيش حرّا حريّة مطلقة فيحقق بذلك سعادته.

---

[1] ينظر: عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية الحديثة ، ص 26.

[2] ينظر: سعيد إدوارد، صور المثقف، محاضرات ريث 1993، ترجمة غسان غصن، مراجعة منى أنيس، دار النهار، بيروت، ط 1، 1996، ص 22.

[3] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 43.

وفي الوقت نفسه كان "مقران" ضدّ بعض الممارسات التي كانت سائدة في القرية والتي كانت "عزي" و"دافدا" تقومان بها من أجل أن ترزقا بأطفال: كالتّبرك بأضرحة الأولياء وما يصحبه من طقوس كالحضرة التي وصفها "مقران" على أنّها طقوس متوحّشة.

-الخضوع لحتمية القضاء والقدر:

يشير السّارد إلى الشعور باليأس والخنوع الذي استولى على نفوس سكّان "تازقا" ّ ،

و عدم الرّغبة في السعي من أجل تغيير الأوضاع فعندما اقترح "أكلي" بناء جسر على النّهر الذي يفصل القرية عن القرى المجاورة رفض الشيخ قائلا: "إذا كتب الله على جبينك أن تموت في النهر فإنّك ستموت حتما فيه ولن ينجيك من ذلك أي جسر."[1]

ومنه فلا داعي للبحث عن حلول، فكلّ شيء مقدّر، ولا يجب أن يُستدعى الطبيب للمريض فإما أن يشفى بطريقة طبيعية أو يموت ويكون ذلك قضاء وقدر. إلا "أن إبراهيم" خرج عن هذه القاعدة، وقام باستدعاء طبيب لمعالجة سكورا رغم حالته المادية الصّعبة.

" ما بين الحين والآخر كانت سكورا تعتني بالحقول لكنّها مرضت فانتظر إبراهيم أن يشفيها الله إلا أن ذلك لم يحدث فاضطرّ إلى استدعاء الطبيب."[2]

كما قرّر "إبراهيم" الذهاب للعمل في الصحراء من أجل أن يستعيد أرضه التي أخذها منه رئيسه في العمل، وأن يمكّن ابنه من مزاولة دراسته علّه بذلك سيغيّر مصيره ومصير عائلته للأفضل. ولم يقبل "إبراهيم"، على الرّغم من ضيق حالته المادية، المشاركة في جريمة قتل "أولحاج" مقابل المال وفضّل العمل والتّعب من أجل تحقيق أهدافه. وهو النّموذج الذي يقدّمه السّارد بشيء من التّفصيل لنقتدي به.

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 68.

[2] Ibid, p 89.

-وضع المرأة:

لقد ربط السّارد بين ربيع الطّبيعة وربيع الفتيات في قرية "تازقا":

"الرّبيع عندنا لا يدوم طويلا، ففي نهاية فصل الشّتاء تكون الرّياح الهوجاء قد هبّت على القراميد والثّلوج، وأهمدت النّاس والحيوانات، ولا يكاد الرّبيع الدافئ يعود ليزركش الحقول بالخضرة حتى تكون الشّمس قد أذبلت الورود وأنضجت الحصاد، وربيع الفتيات أيضا لا يدوم طويلا."[1]

إنّ أوضاع المرأة في هذه القرية المعزولة مزرية للغاية، فهي ترغم على الزّواج برجل لا تعرفه ولا تنسجم معه، وبمجرّد أن تتزوج تدخل في صراع مع الحياة لا نهاية له، وتودّع بذلك أيام طفولتها وشبابها.

"ولم يكن يظهر على ابن عمّي "منّاش" أنّه انفعل لما علم بأنّه كان عليّ أن أتزوج عزي."[2] كان الزّواج صفقة تعقد بين عائلتين لا بين فردين.

يبدي السّارد/"مقران" تعاطفا كبيرا مع المرأة عكس بعض الشّخصيات مثل "واعلي" الذي كان يحتقر زوجته وينهال عليها بالضّرب يوميا.

"**عزي**" : كانت علاقة"مقران" بزوجته "عزي" يملؤها الودّ والعطف، وترى **جوهر أمحيس** أنّ نظرته إليها هي التي "تضفي عليها المزيد من الجمال والأنوثة."[3] يترقّبها، ويصفها وصفا دقيقا ويلحظ حالاتها النّفسية المختلفة.

وكان من المفترض لهذا الزّواج ("مقران"و"عزي") أن ينجح ويعمّر طويلا إلا أنّ عدم إنجاب "عزي" حال دون ذلك، فتحوّلت حياتها إلى معاناة دائمة سواء من قبل "أم مقران" أو من طرف نساء القرية. فالمرأة العاقر في نظرهنّ غير مكتملة وعاجزة عن أداء واجبها في المجتمع.

---

[1] عبد الكبير الخطيب، في الكتابة و التجربة ، ص 60.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] Djouher, AMHIS-OUKSEL, Taâssast, une relecture de la colline oubliée de Mouloud Mammeri, Edition casbah 2, Alger, 2011,p60.

"كانت أمّي على وجه الخصوص تردّد أنّ الله لا يبارك إلا من كان فاضلا: هي لا تقول ذلك صراحة لكن كلامها في كل مرّة، يوحي إلى أنّ عقم "عزي" كان عقابا على خطاياها."[1]

كانت المرأة حسب اعتقادهم السّبب في عدم الإنجاب، مستثنين بذلك الرّجل من هذا "الجرم" إلا أنّ "مقران" كان يساند "عزي" ويتعاطف معها وربّما لذلك لبّى طلبها ووافق على زيارة أضرحة الأولياء الصالحين من أجل التبرك بهم على الرّغم من أنّه لم يكن مقتنعا كامل الاقتناع بهذه الفكرة.

يظهر موقف "مقران" الرّافض لما كان سائدا في قريته لمّا رفض الإمتثال لرغبة أبيه والزّواج بامرأة أخرى قبل أن يذهب إلى الحرب، وأن يتخلّى عن زوجته. لكن "عزي" التحقت بأهلها أثناء غياب "مقران"، فاستاء لذلك، واهتزّت ثقته وخاب ظنّه بها. فهل يمكن أن تجابه "عزي" حماتها في غياب زوجها؟ هل يمكن أن تصمد طويلا أمام تجريحاتها؟

"**دافدا**": إنهّا أجمل امرأة في القرية، وهي زوجة "أكلي" وهي في نظر السّارد تعيش حياة مزدوجة إنّها زوجة إنسان ثري ويثير ذلك حسد نساء القرية، لكن في أعماقها تعيش فراغا عاطفيا مما أدّى بها إلى البحث عن من يسدّه، فوجدته في شخص "منّاش"، غير أنّ السّارد كما سبق وأن ذكرنا كان ضدّ هذه العلاقة التي كانت محكومة بالفشل لأنّها تنافي الأعراف الاجتماعية والدّينية.

"**سكورا**": أو "**كو**" هي زوجة إبراهيم. كان زواجهما مباركا حسب رأي "مالحة" أم مقران إذ أن الله رزقهما بأطفال ذكور، وكانت تعيش في فقر وعوز لكنها تتحلّى بالصّبر، هذه هي الصورة التي نقلها إلينا السّارد "مقران"، فهي في إحدى المرّات طلبت من زوجها الإذن للذهاب إلى بيت أهلها لتساعدهم في بعض الأعمال وما كان ذلك إلاّ لكي تخفف عبء المصاريف على زوجها.

قدّم لنا السّارد، بحكم وعيه، نماذج نسائية متعدّدة، ونظر إلى المرأة من زوايا مختلفة لخّصت لنا ظروفها المعيشية ومشاكلها الذّاتية والأسرية.

[1]Mouloud Mammeri, La colline oubliée,p79.

-علاقة المستعمَر بالمستعمِر:

جسّد هذه العلاقة "إبراهيم" ورئيسه في العمل الذي بنى ثروته من جهد العمال الذين أنهكهم الفقر والجوع، فكلّما ضاق الحال بإبراهيم التجأ إلى رئيسه الرّبوي ليقترض منه مالا.

يبدو أنّ المستعمِر، من خلال كلام السّارد، إنسان محتال يزعم أن المال الذي يقرضه لإبراهيم ليس ماله بل مال أخيه:

"إنّ أخي الكلب لديه قلب رومي إنّه ليس مسلما، فهو لا يريد إقراضك المال إلّا إذا دفعت له 20% من الفوائد."[1]

إنّ هذا الأسلوب في التّعامل مع "إبراهيم" يكشف عن احتقار رئيسه له حيث يعتبره ساذجا وغبيّا مع العلم أنّ "إبراهيم" ليس كذلك، لكن شدّة الحاجة أرغمته على السكوت والصبر، وكان يُهان في الشّغل وتسند إليه الأعمال الشّاقة.

وأحيانا أخرى يظهر لنا المستعمِر منافقا يدّعي النبل والفضيلة:

" أتمنى لو أنّ كان لدي ما يكفي من المال للتخفيف عن أصدقائي، سوف أقرضهم المال دون فوائد، وأعطي لهم إذا لزم الحال، لكن الله القدير لم يشأ أن يجعل منّي رجلا ثريا فأنا بالكاد أستطيع تلبية حاجياتي."[2]

ضاق الحال ب"إبراهيم" وزادت ديونه وأجبر على رهن أرضه التي كانت تحمل قيمة مادية ومعنوية لديه، واستولى عليها رئيسه، الأمر الذي جعل عائلة "إبراهيم" تعيش صدمة كبيرة.

-استشعار الثّورة:

كان الكاتب يدقّ ناقوس الخطر من خلال "الهضبة المنسية"، ويعرض للقارئ الأوربي الأوضاع التي وصلت إلى حدّ التأزّم، وعلى حافة للإنفجار، نظرا لانتشار الفقر والمرض وانعدام العدالة الاجتماعية، ولعلّ "واعلي"هي الشّخصية التي تمثل دعاة الكفاح المسلّح قبل اندلاع حرب التّحرير إذ أنّه رفض التّجنيد الإجباري، والتحق بالجبال، يقول السّارد:

---

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 90

[2] Ibid, p 89

"التحق واعلي بالجبل وانضمّ إلى بعض المختصين الذين، ولأسباب مختلفة، يعيشون هناك منذ وقت طويل."[1]

والحقيقة أنّ هذه الفئة من الشّعب كانت مهمّشة كثيرا من طرف التّاريخ الرّسمي، فهل نقع في كتب التّاريخ على أسماء **(أحمد أومري، بوزيد أحداد، أمزيان أزيكيو، محند أياليو)** ويرى **يوسف أليوي** أنّ هذه الجماعة التي أعلنت التمرّد على المستعمِر منذ وقت مبكّر كانت تسمى"أبناء الأعراش" وقد التحق بها، بعد الحرب العالمية الثّانية، الكثير من الشّباب الذين فجّروا ثورة 1954.[2]

ونشير في هذا السياق إلى أنّ الأشعار الشّعبية القبائلية أشادت بشجاعة هؤلاء المتمرّدين واحتفت بمواقفهم، ونقلت رغبتهم في تغيير أوضاع الجزائريين .

وفي موضع آخر ورد حديث حول الملتحي الذي " وهب حياته لقضية سوف يطول شرحها."[3] أليست هذه بوادر الثّورة التي استطاع السّارد "مقران" أن يستشعرها بنظرته الثاقبة، وملاحظته الدّقيقة ووعيه الناضج بأحوال مجتمعه.

5-صراع المثقّف مع مجتمعه الأصلي:

تناول **مولود معمري** النّزاعات التي تنشب من حين لآخر بين جيل الشّباب والجيل الأوّل بسبب فارق السنّ وتأثر الشّباب المثقّف بالثّقافة الفرنسية.

-صراع الأجيال/ مفهومه وأسبابه.

يعرّف علماء التّربية والاجتماع وعلم النّفس صراع الأجيال على أنّه الاختلاف في الرؤى بين الجيلين الشّباب والكبار، واضطراب العلاقة بين الآباء والأبناء وتأزمها.[4]

---

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 97

[2] Voir : Youcef Allioui, Les arches tribus berbères de Kabylie, p 128

[3] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 121

[4] http//www.alukah.net/social/04127 22-4-2016

فكل جيل ينتمي إلى زمان وعصر بما فيه من مؤثرات ثقافية واجتماعية مختلفة عن الجيل الآخر، ما يؤثر على الآباء والأبناء ويعمّق الفجوة بينهم إذا لم تتوفر قناة للتواصل وتبادل الأفكار بين الجيل السابق واللاحق.

يكون الصراع حادا في مراحل التّغير وما يترتب عليها من تناقضات. ويكون التّغيير ذا طابع علمي أو تاريخي أو سياسي أو ثقافي.

-**الطابع العلمي:** تطوّر مفهوم العلم بحيث أصبح اتجاها عقليا عاما، فبواسطة العلم استطاع الإنسان أن يسيطر على الطبيعة ويحرّر نفسه من سطوة التّقاليد والقوى الغيبية والخرافات، فالتّفكير العلمي ساعد الإنسان على تجديد نظرته للحياة والتّخطيط لمواجهة المستقبل.[1]وهو عكس التّفكير التّقليدي الذي كان مبنيا على الحتمية والقضاء والقدر، فلا مجال للإنسان أن يبرمج أو يخطط أو يبحث عن حلول لمشاكله.

.**التكنولوجيا:** أدّى تطبيق العلم في الحياة إلى زيادة الاختراع وانتشار الّتصنيع ونموّ المدن الذي بدوره غيّر الظروف المادّية للحياة الإنسانية، وأسس التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فكلما زاد تطبيق العلم في هذه الميادين زادت سرعة التغيّر على الرّغم من وجود العقبات التي سببها الخوف من التّقاليد والنّزعة المحافظة.[2]

-**الطابع الثّقافي:** لا يفوتنا ذكر بعض العمليات التي تصاحب تطوّر الشّعوب والتي عادة ما تكون وراء إحداث التغيّر في المجتمع مثل:

.**الابتكار:** سواء كان ماديا مثل الآلات أو اجتماعيا كالأنظمة الجديدة التي تدفع المجتمع إلى الأفكار الجديدة.[3]

.**الانتشار الثّقافي:** هي عملية تتمثل في اقتباس مجتمع ما عن غيره طريقة معاملات أو أسلوب جديد من الأزياء أو الأنظمة.

---

[1] ينظر: محمد الهادي عفيفي، التربية و التغير الثقافي، مكتبة الأنجلوالمصرية، مصر، ط 2، 1964، ص 234.

[2] ينظر : المرجع نفسه، ص 233.

[3] ينظر : المرجع نفسه، ص 232.

.التسرب والامتصاص: يتسرب أفراد المجتمع عبر هذه العملية قيما وأساليب جديدة في الحياة، هذه العمليات نفسها تصبغ حياة المهاجرين عبر احتكاكهم بالمجتمعات الأخرى فيتأثرون بعاداتها وتقاليدها.[1]

إنّ كلّ هذه العوامل تؤثر في عملية التّغيير التي ينتج عنها صراع الأجيال في المجتمع، ذلك أن الشّباب هم أكثر قابلية لتقبل كل جديد عكس الكبار الذين يتمسكون بكل ما هو قديم.

-الطابع التّاريخي والسياسي: إن خضوع بعض المجتمعات إلى احتلال عسكري كما هو الحال في المجتمعات العربيّة نتج عنه تباين في طرق التّعامل مع الآخر، فالبعض اختار الاحتكاك بالغرب ليتمكن من مواجهته. واختار البعض الآخر الحفاظ على أسلوبه في الحياة إذ أنّه لم يقبل التّغيير والتّجديد، فنشب صراع بين القديم والجديد.[2] فكل جيل يرى أنّ اختياره هو الحلّ الأمثل لمواجهة الآخر. فالجيل الجديد عن طريق الاحتكاك بالثقافة الغربية محاولا استيعابها و الأخذ منها ما هو مفيد بالنسبة له، أما الجيل القديم فيفضّل أن يتجاهل ما هو غريب عنه كي لا يضيع ويفقد هويّته.

إنّ الحكمة لا تكمن في التّغيير بل في كيفية التّغيير والتّغلب على الخوف من التّغيير. فلا مانع من أن يكون الإنسان مجدّدا، لكن مع عدم إنكار ماضيه،[3] الذي يحمل في طياته العناصر المشكّلة لهويّته وشخصيته.

- مظاهر صراع الأجيال:

لصراع الأجيال مظاهر مختلفة منها ما هو فكري و منها ما هو سلوكي و لغوي...

.الصراع الفكري: يتمثل في الأفكار الجديدة التي يحملها الشّباب كتجاوز الموروث القديم والدّعوة إلى كل ما هو حديث.

---

[1] ينظر : محمد الهادي عفيفي، التربية و التغير الثقافي ص 232.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 9.

[3] ينظر: محمد السويدي، محاضرات في الثقافة و المجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص 22.

.**الصراع اللّغوي:** وخاصة في المجتمعات العربيّة التي ترى أنّ لغتها لا تتماشى مع التقدم التكنولوجي، فتفضل استعمال اللّغات الأوربية.[1]حيث ترى أنّ مجرّد التكلم بها يعدّ مظهرا من مظاهر التّحضّر.

.**الصراع السلوكي:** يتمثل في طريقة الكلام، المشي واللباس التي لا تمتّ بعلاقة مع ما اعتمد عليه المجتمع.[2] ذلك ما يسبب اعتراض الأهل وثورة الشّباب على من ينتقدهم معتبرين كبار السّن غير مؤهلين لمواكبة العصر.

.**الصراع السياسي:** وهو انتقاد الشّباب لسياسة الكبار في تسيير البلاد وإغلاق الأبواب أمام الشّباب بحجة عدم تحملهم للمسؤولية وهو ما يشكّل عادة سببا للثّورة و التمرّد.[3] و قد يؤدي ذلك إلى عدم الإستقرار في البلاد.

إنّ الحلّ الأمثل لهذه القضية يكمن في تكييف الآباء للواقع لأنّه كما يقال إن "آخر برعم من براعم الحياة هو أقربه للواقع"[4] فإذا نجحت هذه العملية سوف يتمكن الجيل الجديد من الّتفتح على كل جديد دون أيّ خطر.[5]

كما لا يجب أن نستهين بوسيلة مهمّة وهي الّتواصل بين الجيل القديم والجيل الجديد للحدّ من مشكلة صراع الأجيال، فمن الواجب أن تعطى الكلمة للشّباب ليعبّروا عن أفكارهم، فمع أنّهم غير مضطرين أن يعيشوا بمعزل عن عصرهم إلا أنّه من الواجب عليهم احترام آراء من يكبرهم سنا وعدم الاستخفاف بها لأنّ تجاربهم في الحياة سوف يكون لها الدّور الكبير في توعية الشّباب في شتّى الأمور والقضايا.

---

[1] ينظر: عبد اللطيف الحسين خروجة، صراع الأجيال و أثره على الأسرة و المجتمع المسلم، http//www.alukah.net/social/0/41627 7-6-2012.

[2] ينظر: المرجع نفسه.

[3] http//www.alukah.net/social/0/41627 7-6-2012.

[4] محمد سويدي، محاضرات في الثّقافة و المجتمع، ص 21

[5] ينظر: المرجع نفسه الصفحة نفسها.

-صراع الأجيال في الجزائر في فترة الاحتلال:

لقد كان للمدرسة الفرنسيّة الأثر الكبير في تكوين نخبة جزائرية مثقّفة بالثقافة الفرنسية، كانت تعيش جنبا إلى جنب مع جيل متشبع من الثّقافة الأصليّة، مما أدّى إلى نشوب صدام بين الجيلين حول بعض القضايا التي كان ينظر إليها كلّ جيل بطريقة تختلف عن الآخر.

-سبل تأثير الثقافة الغربية على الجزائريين:

أ-**الجماعات المستوطنة في الجزائر:** كانت هذه الجماعات من أولى القنوات التي عن طريقها بدأ التّأثير في الشّباب الجزائري، فطريقة عيش هؤلاء المعمّرين بدأت تستهوي الشّباب وتزعزع إيمانهم، وكان البعض منهم يتوق إلى العيش مثل المعمرين.[1]

ب-الهجرة: تسربت الثقافة الفرنسيّة إلى المجتمع الجزائري عن طريق الهجرة خاصة وأنّ العمّال الذين سافروا إلى فرنسا طلبا للعمل كانوا في غالبيتهم شبابا، فعند عودتهم إلى وطنهم جلبوا عادات تتعارض مع ما هو سائد في مجتمعهم، وقد عبّر الجيل القديم عن استيائه من الشّباب.[2]

ج-المدارس الفرنسية: لقد كان للتّعليم في المدارس الفرنسية آثار كبيرة في قضية الصّراع بين الأجيال إذ أنّه كان وراء زعزعة النّظام الهرمي للمجتمع، فبعدما كان الأب هو الذي يصدر قراراته للإبن أصبح هذا الأخير هو المتعلم بالتّالي اكتسب سلطة على أبيه الذي فقد مكانته كربّ للأسرة.[3]

إنّ الصراع بين الأجيال كان نتيجة احتكاك عنيف بين المستعمِر والمستعمَر عن طريق المدرسة أو الهجرة، مما أحدث خللا في النظام الاجتماعي الجزائري وصداما حادّا بين الجيل القديم والجيل الجديد.

[1] ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 109

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص 109.

[3] ينظر: المرجع نفسه ، ص 112.

- صراع الأجيال/استياء الشباب من تقاليد القرية :

تدور أحداث الرّواية في 1940 م علما أنّ هذه الفترة حسّاسة جدّا في تاريخ الجزائر حيث بدأت فيه النّخبة المتخرجة من المدارس الفرنسية تظهر على مسرح الأحداث وتحاول أن تغيّر الأفكار السّائدة.

يظهر صراع الأجيال جليّا في "الهضبة المنسية" بين الشّباب وشيخ القرية من جهة وبين الشّباب وأهاليهم من جهة أخرى.

عندما يجتمع كبار السّن لمناقشة شؤون القرية كانوا يستهلون اجتماعهم بالصّلاة على النبيّ عليه الصّلاة والسلام والدّعاء، والبركة للجميع، عكس الشّباب الذين لا يميلون إلى تضييع الوقت، فهم يدخلون مباشرة في الموضوع مستعملين كلمة "المفيد".

"انتاب جميعهم توعك، فخطابات الشّباب كانت أشبه بمحادثات البقالين، جافّة ومشوّشة، دون نظام، دون استشهادات، فهم لا يهدفون إلى شيء سوى حلّ سريع لتفصيل صغير ومحدّد، ويردّدون دوما كلمة "المفيد" ".[1]

إنّ طريقة اختصار الشّباب للكلام والابتعاد عن كل ما له علاقة بالدين في إدارة شؤون القرية يعكسان تأثرهم بالحضارة الغربية التي لا تخلط الأمور الدينية بالدنيوية وتدعو إلى اللائكية(فصل الدين عن السياسة)، ويثيرون بذلك سخط كبار السّن.

موقف الشّباب من "تيمشراط": تيمشراط تعني الأضحيات التي تذبح بمناسبة عيد الفطر وتوّزع على أهل القرية، فمن الشّباب من كان معارضا لهذه العملية قائلا: "إن ذلك يكلّف الكثير من المال، ثمّ ما الفائدة من تلك العملية؟"[2]

في حين كان الشّباب ينظر إلى تيمشراط من زاوية مادّية بحتة أي مجرّد ذبح الأضحيات وتوزيع اللّحم، كان الشّيوخ يرون هذه العملية فرصة ثمينة للمّ شمل أهل القريةّ ووسيلة لدفع اللعنة عنهم، فسبب قيام الحرب، حسب شيخ القرية، هو الامتناع عن هذه العادة القديمة. كما أنّ توزيع اللحم على الفقراء والمحتاجين يسهم في تقوية أواصر المحبّة بين أهل القرية.

---

[1] Mouloud MAMMERI, La colline oubliée p 30.

[2] Ibid, p 30.

لقد طال الصراع بين الشّبان المثقّفين بالثّقافة العربيّة الإسلامية، فالطّالب الذي درس في جامعة الأزهر أفتى بخصوص هذا الأمر قائلا أنّ تيمشراط "عمل حرام" لكن الشّيخ كان متمسكا برأيه، كان يقول : "سوف نقوم بتيمشراط هذا العام والأعوام التي ستسبق وفاتيّ ثمّ بعد موتي فليفعل أهل تازقا ما هو مقدّر فعله."[1]

موقف الشّيخ من الجسر: إنّ قرية "تازقا" قرية معزولة يفصلها عن القرى المجاورة نهر من الصعب اجتيازه في فصل الشّتاء، وغالبا ما يلقى حتفه كل من يحاول المغامرة وعبور النّهر، لذلك اقترح "أكلي" بناء جسر لتفادي المزيد من الضحايا لكن الشّيخ رفض الفكرة قائلا:"إذا كتب الله على جبينك أن تموت في النّهر فإنك ستموت حتما فيه، ولن ينجيك في ذلك أي جسر."[2]

ربط الشّيخ مسألة الموت في النّهر بالقضاء والقدر، ولا مجال للتّفكير في حلول عملية لهذا المشكل كبناء جسر من شأنه أن يقي أهل القرية من الفيضانات في فصل الشّتاء.

موقف مقران من الزّواج: من المتداول في القرية أن يتزوج الرجل ثانية إذا لم تنجب زوجته أو إن لم تنجب له غير الإناث، بل وتكاد تكون المرأة العاقر أكثر حظّا من أم البنات. لما عجزت "عزي" على إنجاب الأطفال، طلب والد "مقران" من ابنه الزّواج للمرّة الثّانية قبل أن يذهب إلى الحرب التي من الممكن أن لا يعود منها، فعلى الأقل قد يسعفه الحظ ويترك وريثا وسندا لأبيه في كبره.

"قال لي أبي هذا الصباح عن طريق الشّيخ، بما أنني سوف أرحل والله وحده يعلم كم ستدوم فترة غيابي (والشّيخ كان يفكّر أنّه ربما كان ذهابا دون رجعة) فمن المفروض أن أنفصل عن عزي وأتزوج مباشرة بالثّانية لكنني رفضت ذلك."[3]

فعلى الرّغم من شيوع هذه العادة في القرية والقرى المجاورة لها رفض "مقران" اقتراح أبيه لأنّه كان يرى أنّ في الأمر إذلال للمرأة التي بمجرّد أن يتزوج زوجها بامرأة ثانية تُهمّش في العائلة، وتُحتقر من طرف الجميع.

---

[1] Mouloud MAMMERI, La colline oubliée, p 31.

[2] Ibid., p 68.

[3] Ibid, p 106.

موقف "عزي" من الزواج بعد موت "مقران": كان "مدور" يحوم حول "عزي" وأمّها مباشرة بعد موت "مقران" حيث كان يغمرهما بمساعدات مالية لأنّه يعلم أنّ أوضاعهما المادية كانت مزرية، وكل ذلك كان طمعا في الزّواج من"عزي" بعد أن ترمّلت، فالعرف القبائلي كان يعارض بقاء المرأة الشّابة دون زواج بعد طلاقها أو موت زوجها، فالأهل كانوا يسارعون إلى تزويج بناتهم خوفا من ألسنة النّاس التي لا ترحم أحدا. إلا أنّ "منّاش" عمل على إفشال مشروع زواج "مدور" ب"عزي" وذلك بمساعدة "واعلي". و"لم يفصح "منّاش" عن سبب تراجع "مدور" عن الزواج الذي كان متمسكا به."[1] تحدّت "عزي" الأعراف، وقرّرت العيش من أجل ابنها وعدم الزّواج من رجل آخر بعد موت "مقران".

نخلص إلى أنّ الصراع بين الأجيال كان حادّا في قرية "تازقا"، فبين الشّيوخ المحافظين والرّافضين لكل جديد، والشّباب التوّاق إلى التّفتح وتغيير الأوضاع يظلّ أهل القرية يعانون المرض والجوع والحرمان. وفي الأخير يغادر الشّباب "تازقا" كلّ نحو فضاء اختاره، مثل "إبراهيم"، "إيدير"، "واعلي"، أو أجبر عليه مثل" مدّور" و"منّاش"، لكنّهم لم يفقدوا الأمل في غد أفضل وفي حياة ملؤها الحريّة والأمان.

6-أثر الحرب العالمية الثّانية على القرية:

الحرب العالمية الثّانية نزاع دولي مدمّر بدأ في 1 سبتمبر 1939 بأوربا وانتهى في الثاني من سبتمبر 1945، هي الحرب الأكثر شموليّة في تاريخ البشرية نظرا لتعدّد الجبهات ومسارح المعارك، وقد شارك فيها أكثر من 100 مليون جندي، وخلفت مقتل ما بين 50 إلى 85 مليون شخص.[2]

لقد تأثرت مستعمرات أوربا بالحرب العالمية الثّانية بما فيها الجزائر التي انتشرت فيها المجاعة والأوبئة، وتدهورت الحالة المعيشية للجزائريين الذين جندوا إجباريا للحرب، وقد وصل

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 175.

[2] https//at.wikipedia.org 15-5-2016

عدد المجندين 134 ألف جزائري وأخذت 800 ألف آخر للعمل في المناجم لتعويض المجندين الفرنسيين.[1]

عملت فرنسا، على الصعيد السياسي، على تضييق الخناق على الحركة الوطنية فأصدرت قانون 29 سبتمبر 1939 الذي يقضي بحلّ حزب الشّعب، ومنع جرائده من الصدور وسجن زعمائه، كما صدر قانون حلّ الحزب الشّيوعي.

من الآثار الإيجابية للحرب العالميّة على الجزائر:

.اكتساب خبرة عسكرية في ميدان المعركة وذلك عن طريق مشاركة الجزائريين في الحرب.

.تبلور الوعي السياسي: حيث أدرك أنصار الفكرة الاستقلالية أنّ السبيل الوحيد للتحرر هو النضال المسلّح، وقد ترسخت هذه الفكرة بعد أحداث 8 ماي 1945.[2]

- أثر الحرب العالمية الثّانية على قرية "تازقا":

كان للحرب العالمية الثّانية الأثر الكبير على حياة القرية، فبمجرّد أن انتشر خبر الحرب خرج سكان "تازقا" من الروتين اليومي الذي اعتادوا عليه. ف"أ كلي"كان يقرأ الجرائد، ويُعلم زوجته "دافدا" بأحداث الحرب و التي بدورها تقوم بنشر تلك الأخبار بين نساء القرية.

"سوف يذهب كلّ الرجال ولن يبق سوى الشّيوخ والأطفال والنّساء فكيف سنحرث الأرض؟"[3]

"كانت النساء يستمعن إليها وأفواههن مفتوحة ثم كانت كل واحدة تبدي رأيها وانطباعاتها ليصبح الحديث عامّا بعد ذلك."[4]

وكأنّ نساء القرية كنّ بحاجة إلى حدث جديد يغيّر واقعهن حتى أنّهن كنّ يستفسرن حول هذا الرجل الذي يسمّى **هتلر** والذي استطاع أن يتحدّى العالم أهو إنسان عادي أم رجل خارق.

"بابا واعلي، يقال إنّ هتلر غول وشيطان وإنّ الألمان مستعدون للموت من أجله وكأنهم مقاتلون في حرب مقدّسة."

---

[1] http//www.Djelfa.IN 15-5-2016

[2] Ibid.

[3] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 25.

[4] Ibid, p 25.

فيردّ عليهن العجوز قائلا: "اللعنة عليه، ألا يمكن أن يرسل له الله الهلاك ليقضي عليه."[1]

فيخيب أملهن ويعاملن "بابا واعلي" على أنّه جاهل و أعمى فمن أين له أن يدرك الحقائق.

كان رجال القرية في شبه مباراة يتحمّسون فيها إما **لهتلر** أو **لستالين** الذي كانوا يدعونه "بوشلاغم"، و"بلعيد" أقسم أنّه لن يضحي في العيد إلا إذا يدخل ستالين برلين.

التّجنيد الإجباري: إن تجنيد الشّباب كان سببا في مأساة شملت قرية "تازقا" والقرى المجاورة لها، فقد أرغم الشّباب على ترك قريتهم و أسرهم من أجل أن يلتحقوا بجبهات القتال و تعويض العمّال الفرنسيين في المناجم. الأمر الذي جعل القرية تغرق في جوّ من الحزن والأسى فكانت العائلات وشيخ القرية يراقبون الشّباب المجندين و هم يغادرون القرية وكأنّهم في موكب جنائزي:

"مرّ الموكب الجنائزي أمام نافذتي وعلى رأسه الشيخ الذي استطعت بالكاد أن أميّز صوته الحاد ممزوجا بأنين النّساء وبكاء البنات الصغار."[2]

"لن تشفى "تازقا" من الألم الذي ألمّ بها بما أنّ الشّباب القادر على علاجها سوف يغادر."[3]

إنّ مغادرة الشباب للقرية جعلها تفقد بهجتها وتخسر السواعد القوية التي كانت تفلح الأرض ذلك ما أدى إلى تدهور الأوضاع المعيشية لسكان "تازقا".

ذكرنا آنفا أنّ شباب القرية كان منقسما إلى فريقين، فريق "واعلي" و "تعساست" لكن الحرب استطاعت أن توحّد الجماعتين فموح الراعي التحق بنفس الفيلق الذي كان فيه" مقران" و"منّاش" ومن الشّباب من اختار الصعود إلى الجبال مثل: "إيدير" و"واعلي" وذلك يعتبر إشارة إلى أنّ هذه العناصر بصدد العمل على تفجير الثّورة، وذلك ما تحقّق على أرض الواقع إذ أنّ الحرب عملت على توحيد الشّعب بمختلف أطيافه.

انتشار الفقر والمرض : أدّت الحرب إلى سوء الأحوال المعيشية في القرية، وانتشرت المجاعة، وأصبح القمح نادرا وإن وجد فبأثمان خياليّة تفوق قدرة القروي البسيط.

---

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 26.

[2] Ibid, p 36.

[3] Ibid, p 36.

"إنّ حملات توزيع القمح لم تعد كافية والجميع لا يستطيع دفع 2500 فرنك مقابل ضعف كيل من القمح".[1]

وما زاد الأوضاع تأزّما هو وجود انتهازيين يتاجرون بالقمح في السّوق السّوداء لتزيد أرباحهم على حساب من أنهكهم الجوع. ويعتبر "أكلي" أبرز من مثل هذه الشّخصية الإستغلالية في "الهضبة المنسية" وقد ذكر" كامو" Camus في كتابه Misères de la Kabylie ، وهو سلسلة مقالات كتبها عام 1939 إثر زيارته لمنطقة القبائل، أنّ 50% من سكان المنطقة يعيشون بفضل الحملات الخيرية التي تنظمها الإدارة الفرنسية عن طريق توزيع الحبوب على الأهالي.

كما أن البعض قد يضطر إلى قطع مسافات طويلة من أجل الحصول على الشعير وقد يكلّفهم ذلك حياتهم وخاصة عند تساقط الثلوج.[2] وفي حال ما إذا لم يجدوا شيئا يقتاتون منه لجؤوا إلى الحشائش ذلك ما ذكره موح الراعي في "الهضبة المنسية"، أنّ طبيبا شرّح جثّة إنسان فوجد معدته مملوءة بالحشيش.[3]وقد يحدث أن تكون هذه الحشائش سامّة فتتسبب في وفاة الشّخص.

إنّ التغذية غير السليمة ستؤدي حتما إلى انتشار الأمراض ففي "تازقا" ظهر مرض التيفوس – typhus – حصد الكثير من الأرواح و أولهم موح الراعي الذي لم يُستدع له الطبيب إلا بعد فوات الأوان و ذلك نظرا لبعد المسافة و الأحوال الجوية المضطربة.

فعدد الأطبّاء لم يكن كافيا حيث إنّ كل 60000 شخص يشرف عليهم طبيب واحد يسكن على بعد ساعات فما على المرضى إلا التنقل على الدواب للتداوي.[4]

كانت الأوضاع قاسية، يقول السّارد:" قبل الحرب كانت حياتنا صعبة لكن الآن لا نعيش إلا بفضل بركة الأولياء الذين يحرسون البلد بقدراتهم الخارقة."[5]

عملت الحرب على تشتيت الأسر عبر تجنيد الشباب أو هجرة أرباب الأسر للعمل في فرنسا. كما جرت الفقر والمرض والخراب على قرية "تازقا".

---

[1] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 148.

[2]Voir : Albert camus, misères de la Kabylie, éditions Zirem, Bejaia, algerie, 2005, p 27.

[3]Voir : Ibid, p 65.

[4] Voir : Ibid, p 63

[5] Mouloud Mammeri, La colline oubliée, p 148

دخل الأديب الجزائري في خضمّ المعركة وسلاحه الوحيد هو قلمه، فبعدما كانت الرّواية الجزائرية في بداياتها تقليدا للأدب الفرنسي وتمجيدا له، أصبح الكتّاب يهتمّون بفضح السياسة الاستعمارية التي تقوم على سلب الأرض وتفكيك المجتمع والقضاء على الهويّة الوطنيّة والثّقافية.[1]

[1]Voir : Fouzia Bendjelid, le roman algérien de langue française, p 17

الفصل الثّاني:

المثّقف/وعي الذّات والآخر في "سبات العادل".

1-الأنا(الذّات) والآخر.

2-المثقّف ووعي الذّات والآخر.

3-المعلم الفرنسي/الثّقافة المثال.

4-مكوّنات الهويّة في "سبات العادل.

5-رحلة البحث عن الذّات.

وضع علماء النّفس تعريفات مختلفة للذّات، فكل واحد عرّفها من زاوية مختلفة عن الآخر.عرّف **ريتشارد** الذّات على أنّها الصّورة أو الإنطباع الذي يكونه الشّخص عن نفسه. كأن يقول أنا ذكي، أنا جميل...أما **حامد زهران** فيعرّف الذّات على أنّها وصف الإنسان لذاته كما يتصوّرها، وكما يراه الآخرون، وكما يريد أن يكون. [1]

يبدو هذا التّعريف أكثر شمولا حيث يربط بين نظرة الذّات إلى نفسها ونظرة الآخرين للذّات.

1-الأنا (الذّات) والآخر.

إنّ وجود الذات مستمد من وجود الآخر ويتفاعلان إما سلبا أو إيجابا بطرق مختلفة، ويتّخذ هذا التّفاعل أشكالا مختلفة أهمّها:

1. **الهوس (la manie)**: النظر إلى ثقافة الآخر على أنّها متفوّقة على ثقافة الذّات.
2. **الرهاب (la phobie)**: اعتبار ثقافة الذّات متفوّقة على ثقافة الآخر مثل الرهاب الألماني.
3. **المحبة (la philie)**: التّعامل مع ثقافة الآخر على أنهّا مكمّلة لثقافة الذّات.[2]

نخلص إلا أنّ الهوس والرهاب هما شكلان سلبيان لتعامل الذّات مع الآخر كون الطّريقة الأولى تُشعر الذّات بالنقص أمام الآخر، أما الرهاب فيؤدي إلى اعتبار ثقافة الآخر أقل شأنا من ثقافة الذّات. وقد كان لهذا الفكر نتائج وخيمة حيث نتجت عنه الحركة النّازية التي كانت ترى أنّ الجنس الجرماني متفوّق على بقية الأجناس البشريّة، أما الشّكل الثّاني فهو إيجابي، حيث يشجّع على التّبادل الثّقافي والحوار البنّاء بين الشّعوب.

إنّ التّجربة التّاريخية جعلت الأنا تنظر إلى الآخر على أنّه عدو يهدّد الهويّة الذّاتية حتى في حالة السلم مما يجعل الذّات متيقظة وحريصة على مقوّماتها لأنّ الآخر يعتبر غريبا عنها ويشكّل خطرا عليها، لذا فالأنا دائمة الإحتراس من أي خطر قد يصدر من الآخر.[3]

---

[1] http://mawdooz.com, 24/5/2016.

[2] ينظر: محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2013، ص 7.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 12.

وغالبا ما يطبع هذا النّوع من السلوك العلاقة بين الشّرق والغرب أو بين البلدان المستعمِرة والبلدان المستعمَرة التي لم تكن تطمئن لنوايا البلدان التي استعمرتها في يوم من الأيام.

إنّ شدّة الشّعور بالعداوة إزاء الآخر يؤدي إلى تنامي مشاعر الكراهية بين البشر، فوحده التّواصل كفيل بنشر المحبّة والتّفاهم بين النّاس.[1]

ففي الحالة الأولى (العداوة) ينتج انغلاق ورفض لكل ما يأتي به الآخر، حتى ولو كان إيجابيا، أما في الحالة الثّانية (التواصل) فسوف يسود الحوار بين الحضارات والثّقافات.

تناولت الرّوايات العربيّة قضية الأنا والآخر خاصة بعد تعرض البلدان العربيّة للاستعمار ومنه إلى الاستلاب الثّقافي، وجسّدت هذه الرّوايات رؤى الذّات إلى الآخر، ويمكن حصرها فيما يلي:

الرؤية الانبهارية: وهي قائمة على الانبهار بمنجزات الآخر (الغرب) والافتتان بتقدّمه في شتّى المجالات الثّقافية والمعرفية.

الرؤية الحضارية: تشكّلت هذه الرؤية في العقود الأولى للقرن العشرين وذلك مع الطّلاب الذين هاجروا إلى الغرب طلبا للعلم.[2]

إنّ موطن الاختلاف بين الرؤية الأولى والثّانية هو أنّ الرؤية الحضارية عادة ما تكون مصاحبة بالحنين إلى القيم الروحانية والدينية للمجتمع الشّرقي.

الرؤية السياسية الحقوقية: وهي النّظرة المبنية على تشخيص النّظام السياسي لدولة ما ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم ووضعية الحريّات العامة وحقوق الإنسان.

الرؤية العدوانية: ترى الذّات أنّ الآخر يمارس عليها التّهميش والإقصاء، ويسبب حالة من الصراع بين الذّات والآخر.[3]

---

[1] محمد الداهي، صورةالأنا و الآخر في السرد، ص 13.

[2] ينظر: جميل حمداوي، رؤى الأنا والآخر في الرواية العربية، مجلة الرافد.
http://www.arafid.ae/arafid F1. 24/5/2016.

[3] ينظر: المرجع نفسه.

إنّ الرؤية السياسية الحقوقية تجعل من الغرب مكانا ينعم فيه الإنسان العربي بالحريّة بعيدا عن السّلطة الحاكمة، بينما يبدو الآخر (الغرب)، في الرؤية العدوانية، رمزا لمعاني سلبية.

2-المثقّف بين وعي الذّات وسلطة الآخر .

"سبات العادل" رواية للكاتب **مولود معمري**، تدور أحداثها إبّان الحرب العالمية الثّانية في قرية "إغزر" التي يسود فيها صراع بين جيل متخرج من المدرسة الفرنسية والذي يمثله البطل "أرزقي" وجيل متمسك بالتّراث القديم.

تعكس الرّواية مسار شباب ضائع وممزّق بحثا عن حلّ للأزمة، وتعكس كذلك علاقة الذّات الجزائرية بالآخر أي المستعمِر، والتحوّلات التي طرأت عليها مع مرور الزمن وتراكم الأحداث.

-أرزقي والآخر/ الانبهار والإقصاء.

كان "أرزقي"، في بادئ الأمر، منبهرا بثقافة الآخر، ومتأثّرا بشعارات الثّورة الفرنسية حتى أنّه كان يتنكّر للقيم الأصليّة للمجتمع الجزائري مثل الشّرف، حيث صرح ذات يوم في مقهى القرية أمام الملأ "إنّ الشرف هزء"،[1] كما أعلن إلحاده أمام شيوخ القرية "لا آبه لا بالشّيطان ولا بالله."[2]

وعندما حاول والده أن يفهم سرّ تصرفه هذا، يضرب بكل المبادئ والقيم عرض الحائط ويخوض في سلسلة من التّحليلات والاستنتاجات ليصل إلى نتيجة أنّ الله غير موجود:

-أرزقي: هل الشّر موجود؟

-الأب: نعم الشّر موجود.

-أرزقي: والجحيم والشّيطان والدّموع والألم والموت، من الذي خلقهم، فهو الله نفسه إله الطيبة والرحمة، لماذا؟"[3]

[1] حاجم اسماعيل، الصراع الحضاري في الرّواية الفرامكفونية المغاربية، مذكرة ماجستر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو السنة الجامعية 1999 – 2000.

[2] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, édition el othmania, algerie, 2005, p 8.

[3] Ibid, p 8.

يضيف:

-"لا إن الشّرح سوف يطول فيكفي أن تفهم اليوم أنّ وجود الشّر سبب في إدانة الله."[1]

الملاحظ أنّ الآخر بالنسبة "لأرزقي" في فترة الانبهار لم يكن الاستعمار، بل أهل بلده كونه منغمسا كليّا في الثّقافة الفرنسية، ويظهر ذلك جليّا في طريقة تفكيره المتأثرة بالفلسفة الغربية رفضه لطقوس جماعته جملة وتفصيلا، تشكيكه في أسس دينه، تحدّيه للكلام السّلطوي على حدّ تعبير **ميخائيل باختين** الذي يمثله الأب وشيخ القرية. لم يعد الآخر يهدّد وجوده، أو بالأحرى ميلاده الجديد، وإنّما يأتي التّهديد من مجتمعه الأصلي.

خاض" أرزقي" تجربة الحرب العالمية الثّانية وذاق مرارة التّمييز بينه وبين الأوربيين بدءا من طابور الأكل حيث كانت الأولوية للأوربيين، رغم حضور "أرزقي" إلى المطعم باكرا، وصولا إلى تجاهل النقيب ريكاردو"له عندما حاول تقديم أعضاء كتيبته، حيث كلّف جندي آخر فرنسي بالقيام بهذه المهمّة. وطلب منه الرقيب لومرشان"هل كان على علم بالقوانين؟

"أكيد أنّه كان يعلم أنّ مادة كانت تلزم الجندي الجزائري أن يطيع نظيره الأوربي إذا كانا من نفس الدّرجة العسكريّة."[2]

ونضيف إلى تلك الممارسات العنصرية عبارات الشّتم والسبّ التي تعرض لها "أرزقي"، فهو في نظر ذلك الفرنسي مجرّد مواطن من الدّرجة الثّانية، ولا يشفع له تكوينه في المدرسة الفرنسية ولا إتقانه للّغة الفرنسية، فشعارات المساواة والتآخي والحريّة التي كان منبهرا بها لا تصلح للمجتمع الجزائري ولا تليق به.

أصبح "أرزقي"، بعد هذه التّجربة الصعبة، يبحث عن عقيدة تعوض ما كان يقوله له معلّمه السيّد "بواري".[3] لذا قرّر أن ينخرط في الحزب علّه يجد ضالته فيه، ففي هذه المرحلة من الوعي أصبح الآخر بالنسبة له هو المستعمِر و ليس أهل بلده.

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 10.

[2] Ibid, p 88.

[3] Ibid, p 125.

-الآخر ولوناس/ الاستغلال والرفض.

"لوناس"" شاب مثقّف ومنخرط في الحزب، تعرّف عليه "سليمان" وهو أخ "مقران" خلال رحلة بحثه عن عمل، جالا في مختلف مزارع الكروم التّابعة للمعمرين إلا أنّ "لوناس" كان ضدّ العمل في مكان ثابت لأنّ ذلك، حسب رأيه، لا يختلف كثيرا عن العبودية.

سجّل "لوناس" العديد من التجاوزات مثل الإهانة والاحتقار والعنف الجسدي، وأخطرها استغلال الأطفال للعمل في المزرعة بأجور متدنية جدّا:

"يوجد العديد من الأطفال من بين العاملين في مزرعة الكروم، يقول "لوناس" أنّ صاحب العمل يفضّلهم عن الآخرين لأنّ الأجور التي يدفعها لهم كانت منخفضة."[1]

وقد تناول **ألبير كامو** قضية عمل الأطفال في مقالاته الصحفية، حيث ذكر أنّ الطفل العامل يتقاضى ثلاثة فرنكات مقارنة بخمسة فرنكات للنّساء، وعشرة فرنكات للرجال، مقابل ساعات طويلة من العمل، تدوم من الرّابعة صباحا إلى السّابعة مساء.[2]

لم يستطع "لوناس" و"سليمان" تحمّل موقف ضرب صاحب العمل للراعي المسكين، فتدخلا ليعبّرا عن رفضهما لتلك المعاملة اللاإنسانية ثمّ هربا سويا إلى مزرعة أخرى بالبويرة، كان صاحبها هو "أكلي" ابن عم "سليمان"، لم تكن المعاملة بأفضل حال من مزرعة المعمِر، حتى أنّ "أكلي" لم يتعرف على قريبه "سليمان"، لأنّه لم يكن يكترث لوجود العاملين لديه، ملامحهم، سنّهم، ظروفهم، صحتهم، فاهتمامه كان منصبا على العمل والمردود لا غير.

يمارس المعمر الفرنسي ومن كان مواليا للسلطات الاستعمارية على حد سواء العنف بشكليه اللفظي والجسدي على الجزائريين، إلا أنّ لوناس" لم يكن يحمل الضغينة لأبناء بلده حتى ولو حادوا عن الطّريق، لأنّ هدفه كان لمّ شمل الجزائريين، يقول "لسليمان":

"لوناس: إنّ ابن عمك تودرت جزائري.

سليمان: لكن أخي أرزقي الذي نفى وجود الله في الساحة العامة رومي.

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 64.

[2] Voir : Albert CAMUS, Misères de la Kabylie, p 48.

لوناس: لا، إنّه ضال... ذات يوم سوف يعود.[1]

تعمد الكاتب عدم ذكر القرية أو القبيلة التي ينتمي إليها "لوناس"، فلما سأله "سليمان" عن اسم عائلته قال إنّه "جزائري"، فهذا إعلان صريح على وجود كيان جزائري مختلف، قائم بنفسه وغير تابع للمستعمِر.

نخلص إلى أنّه مهما اختلفت أوجه المستعمِر فإنّ النتيجة واحدة، والآخر بالنسبة للذّات الجزائرية يبقى رمزا للاستغلال والظلم والإقصاء، لذا يرى "لوناس" أنّ الوقت ليس وقت النزاعات والحسابات الضيّقة بين الإخوة، بل وقت الإتحاد لمواجهة الاستعمار، فكل من "أرزقي" و "لوناس" انتهى بهما المطاف إلى الانخراط في الحزب، وخطا الخطوة الأولى في طريق النّضال من أجل التحرّر.

3-المعلّم الفرنسي/ الثّقافة المثال.

لقد كان للمدرسة الفرنسية الأثر الكبير في نشر تعاليم الثقافة الغربية في وسط الشّباب الجزائري الذي انبهر بتلك القيم الجديدة، واعتقد أنّها من دواعي تقدّم الغرب وإزدهاره في مجالات شتّى.

تناول **مولود معمري** هذا الموضوع في روايته "سبات العادل" حيث كان المعلّم الفرنسي السيّد "بواري"، يمارس تأثيرا لا مثيل له على تلميذه "أرزقي": "لقد كان يقول للآخرين تلاميذي أما أنتم أتباعي."[2]

لا تقتصر مهمّة المعلّم الفرنسي على تزويد "أرزقي" بالمعارف بل العمل على تغيير نظرته للحياة والأحداث المحيطة به، فها هو "أرزقي" يخاطب معلّمه في رسالة بعث بها إليه يقول فيها: "لقد أخرجتني من سجني وجئت إلى الوجود فلولاك لأفلت هذا العالم من جانبي."[3]

يرى "أرزقي" أنّ المعلّم "بواري" أخرجه من الفضاء المغلق الذي كان يعيش فيه وذلك بانفتاحه على عالم آخر مختلف عن قريته "إغزر" حيث العادات المكبّلة والحريّة المقيّدة، فهو

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 51.

[2] اسماعيل حاجم، الصراع الفكري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص 86.

يصرّح لصديقه "مدور" أنّ محاولة القتل التي تعرّض لها من قبل أبيه قد حرّرته ليلتحق بقرية "تازقا" أين كان يزاول دراسته عند خالته. كان في "إغزر" مطالبا بتنفيذ بعض الأمور التي يمليها عليه العرف: كقتل ابن عمه "تودرت" للأخذ بالثأر، والزواج من أرملة أخيه "محاند" بعد موته من أجل التكفّل بأولاده ورعايتهم. إنّ "أرزقي" متمسك بحريّته أكثر من تلك الأمور الثّانوية بل التّافهة التي لا يرى أنّها مهمّة بالنسبة له.

الأكيد أن هذا النّزوع إلى الحريّة والفردية لم يأت من العدم بل نتج عن التأثّر بالثّقافة الغربية والمعلّم الفرنسي السيّد "بوراي"، حامل هذه الثّقافة، والمروّج لها، والمدافع الكبير عنها.

بالإضافة إلى قيد الإلتزامات العائلية والاجتماعية نجد قيد الأفكار الرجعيّة والمتخلّفة حسب رأي "أرزقي" فهو أعلن إلحاده أمام الجميع متأثرا بكتب الفلسفة الإلحادية التي قرأها ولما حاول أبوه الاستفسار عما صرّح به ردّ عليه قائلا:

"يكفيك أن تفهم أن وجود الشّر هو إدانة للرّب.

-لا ولكنني قرأت في الكتب...

-وماذا قرأت فيها؟

-ألا وجود للإله.[1]

تلقى "أرزقي" و"مدور" رسالة من السيّد "بواري" عشيّة ذهابهما إلى الحرب، كان الحماس والإعجاب يغمر الشّابين وهما يطّلعان على محتوى الرّسالة، فكلمات المعلّم الفرنسي أعطت معنى لحياتهما وجعلتهما يشعران بنبل القضية التي سوف يدافعان عنها، فهو يرى أنّ "الحرب ليست مقدّسة، لا وجود لحرب مقدسة (...) لكن هذه الحرب مبرّرة."[2]

استخدم المعلّم هذه الحجّة لتشجيع الشّابين على الذهاب إلى الحرب، فاندفع "أرزقي" إلى خوض هذه التجربة، وكلّه حماس، لقد اقتنع بأنّ هذه الحرب "ترمي إلى هدم قوى الشّر، التي تريد

[1] أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2013، ص 296.

[2] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 81.

أن تعطي الأولوية للمادة على حساب الروح."[1] وهو بذلك يشعر أنّه يؤدي رسالة حضارية ويخدم قضية عادلة، تعود بالخير للبشرية جمعاء:

"أعدك أستاذي العزيز أنّني سوف أكافح بكل ما أوتيت من قوّة من أجل نصرة قضية أعلم أنّها قضيتك."[2]

فمعرفة "أرزقي" رأي معلّمه حول الحرب التي كان يتأهب لخوضها حفّزته للقيام "بواجبه" على أكمل وجه.

يتحدّث السيّد "باوري" أيضا في رسالته على ما يجب أن يتحلّى به الإنسان من إنسانية حتى في أصعب الظروف مثل الحرب: "لأننا بشر، ولسنا حيوانات و لسوء الحظ أنّ في الحرب يصحو الحيوان فينا، والإنسان الجدير بهذا الاسم سوف يعمل على إيقاظ الحيوان دون هيجانه."[3] فمهما كانت قسوة الظّروف يجب أن يحافظ الإنسان على إنسانيته، ولا يتحوّل إلى حيوان شرس همّه الوحيد هو القضاء على عدوه بأيّة طريقة كانت.

إنّ كل هذه المواقف "السامية" جعلت أرزقي يقف معجبا بمعلّمه "باوري" وثقافته، خاصة عندما يقيم موازنة بين ما يبديه معلّمه من "سماحة وطيبة" وبين ما يلاحظه من خشونة في الّتعامل عند أهله ومحيطه.

إنّ "أرزقي" متأثر بفكر معلّمه "باوري"، لكن كلما حاول تطبيق ما تعلّمه على يده يقف مجتمعه بالمرصاد يحدّ من تحركه، ويعارض أقواله، مما عمّق الفجوة بينه وبين أهله وذويه.

4-مكوّنات الهويّة في "سبات العادل".

-**تعريف الهويّة:** يشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشيء هو هو، أي من حيث تشخّصه وتحققه في ذاته وتميّزه عن غيره، وهي وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري بما يشمله من تقاليد وعادات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.[4]

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 83.

[2] Ibid, p 83.

[3] Ibid, p 81.

[4] http//manifest.univ-ouargla dz 1-6-2016.

فهويّة أي أمة هي صفاتها التي تميّزها عن باقي الأمم الأخرى وهي حلقة وصل بين الفرد وبيئته الاجتماعية والثقافية وهي الحصن الذي من خلاله تحافظ كل أمّة على كيانها وخصوصيتها من الزّوال والاندثار.

تتحدد الهويّة الثّقافية في مجموعة من المقوّمات الأساسية:

أ-اللّغة الوطنية: التي تعتمد في التّدريس والقضاء والإدارة إلى جانب اللهجات المحليّة التي تعتبر وسيلة تواصل بين أفراد المجتمع.

ب-القيم الدينية والوطنيّة: التي تكسب الشّعب حصانة ضد كل محاولة للتذويب مهما كان مصدرها.[1]

إنّ اللّغة والدين هي المكوّنات الثّابتة لأيّ هويّة مهما كانت شدّة المؤثّرات الخارجية.

ت-العادات والتّقاليد والأعراف العاكسة لمستوى الشّعب حامل الهويّة.

ث-التّاريخ النّضالي الذي ينسجه ذلك الشّعب حامل الهويّة من أجل الحفاظ على هويّته أرضا و قيما.[2]

يحدّد محمد **عابد الجابري** مستويات ثلاثة للهويّة الثّقافية، هي كالتّالي: فردية، جمعية ووطنيّة قوميّة، وتتحدد العلاقة بين هذه المستويات بنوع الآخر الذي تواجهه: فإذا كان داخليا ويقع في دائرة الجماعة، فالهويّة الفرديّة هي التي تحلّ محلّ "الأنا" وإذا كان يقع داخل دائرة الأمّة فإنّ القبيلة أو الطائفة هي التي تحلّ محلّ "الأنا" أما إذا كان الآخر خارج الأمّة فإنّ الهويّة الوطنيّة هي التي تحلّ محلّ "الأنا".[3]

إنّ هويّة أيّة أمّة هي التي تجعل منها كيانا قائما بذاته غير قابل للإنصهار رغم التأثيرات الخارجية، وتعمل على توحيد الأمة وتكريس وحدتها لأنّها تمثل العنصر المشترك بين أفرادها.

لقد كان المستعمِر ينظر إلى المستعمَر على أنّه كائن متوحش بدائي، وحالته الطّبيعية تلك تبرّر احتلال فرنسا له بحجّة نشر قيم حضارية، وأداء رسالة التمدّن، ولا يكتفي المستعمِر بأن يفرغ

---

[1] http//manifest.univ-ouargla dz 1-6-2016.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

عقل المستعمَر من كل مضمون بل يحاول أيضا أن يهدم ماضي الشّعوب المستعمَرة ويشوّهه ويبيده.[1]

و كأنّ تلك الأوطان المستعمَرة لم يكن لها وجود قبل الاستعمار، ولم تعرف شعوبها معنى الاستقرار، ولم تسهم في تأسيس الحضارات العالميّة، فرحيل المستوطن الأوربي إليها، واحتكاكها المستمر به من شأنه أن يبعدها عن الوحشية والهمجية الحيوانية.

كذلك كان الحال في الجزائر، فالمستعمِر كان دوما يحاول طمس الهويّة الجزائرية بطرق شتى مثل تزييف التّاريخ وتجزئة الأراضي وتشتيت القبائل لزعزعة المجتمع الجزائري.

لقد أدركت جمعية العلماء المسلمين التي تأسست عام 1931 خطورة ما كان يحدث، فعملت على إحياء عناصر ثقافة الشّعب الجزائري من خلال العمل الثقافي سواء عبر المنابر الإعلامية أو عبر النّشاط التّربوي والتّعليمي.[2]

فها هو **ابن باديس** يردّ على أحد أنكر وجود أمّة جزائرية:

"نحن أيضا بحثنا في التّاريخ وفي الحاضر ووجدنا أنّ الأمّة الجزائرية المسلمة تشكّلت وعاشت كباقي الأمم. هذه الأمّة لها تاريخها الناصع ولها وحدتها الدينية."[3]

يؤكد **ابن باديس** أنّ الجزائر أمّة وجدت قبل الاحتلال، لها تاريخها وثقافتها ودينها ولا يمكن في يوم من الأيام إلحاقها بفرنسا.

رفض الكتّاب الجزائريون بدورهم تلك المحاولات الرّامية إلى تذويب الهويّة الجزائرية في أعمالهم الأدبية التي أُدرجها النّقاد(جان دجو، جاك مادلان، غاني مراد، شارل بون) ضمن الكتابة الإثنوغرافية، والحقيقة هي أنّ هذه الإبداعات الأدبية التي ظهرت في فترة الخمسينيات من القرن المنصرم **لمولود فرعون ومولود معمري ومحمد ديب** كانت تهدف، بطريقة ذكيّة، إلى تأكيد الهويّة

[1] Voir : Frantz FANON, Les damnés de la terre, édition ENAG, Algérie, 2011 , p 248.

[2] ينظر: عبد السلام فيلالي، الجزائر الدولة و المجتمع، دار الوسام العربي للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، ص 183.

[3] المرجع نفسه، ص 185.

الثقافية للشّعب الجزائري وإبراز ملامحها وخصوصيتها المختلفة في الشكل والمضمون عن هويّة الآخر(المستعمِر).

لا يمكن اختزال نتاجات هؤلاء في وصف العادات والتّقاليد لأنّها وضعت أسس الرّواية الواقعية في الجزائر، واحتوت أشكال الكتابة عن الذّات(السيرة الذّاتية واليوميات)، ووظفت الموروث الشفهي الجزائري...

إنّ "سبات العادل" من الرّوايات التي تناولت مسألة الهويّة الثّقافية الجزائرية بمكوّناتها المختلفة والتي تتمثل في الثقافة، اللّغة، الدين.

-**الثّقافة** .

أ-**الأمثال و الحكم:** إنّ الأمثال والحكم مظهر من مظاهر الثّقافة الوطنيّة، وهي تعكس التجربة والحكمة المتناقلة من جيل إلى آخر.

من النماذج التي وردت في الرّواية:

-"يجب أن نخشى النّهر عندما يكون هادئا"[1].

لا يجب الإنخداع بالمظاهر، فهدوء بعض الأشخاص قد يكون سابقا لعاصفة هوجاء.

-"إذا قلّدت الأحمق تصبح أحمقا مثله."[2]

أي على الإنسان أن يكون حكيما في تعامله مع من يحيط به.

ونجد بعض الأمثال التي توصي باستعمال الحيلة إذا كنّا في موقف ضعف لتتجنب المشاكل:

-"قبّل اليد التي لا تستطيع عضها."[3]

يملك المجتمع الجزائري ثقافة شعبية عريقة تتوارثها الأجيال فيما بينها.

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 11.

[2] Ibid, p 19.

[3] Ibid, p 58.

*أركول: قمح محمص ثم يطحن ويضاف له قليل من الزيت.

ب- اللباس: يعدّ اللباس مظهر من مظاهر الثّقافة الجزائرية ، ذكر البعض منها: العمامة البيضاء، قندورة من صوف، الشاشية، ولقد احتفظ الكاتب بأسمائها كما هي.

الأكل: وردت في الرّواية أطباق الأكل الخاصة بالمجتمع الجزائري كطبق كسكس القمح البلوط، الكسرة، أركول*.

ج-الدين: يعتبر الدين من أهم العناصر المكوّنة للهويّة الثّقافية الجزائرية، وحاول المستعمِر أن يجرّد المستعمَر من دينه وذلك عبر تحويل المساجد إلى كنائس، وعبر الحملات التبشيرية، وعبر تعيين الأئمة. وردت في رواية "سبات العادل" عبارات ذات علاقة وطيدة بالثقافة الإسلامية مثل:

"لا إله إلا الله"،هي الشهادة التي تقال لما يحتضر الانسان وعند سماع آذان الصلاة.

"بسم الله"، تقال عند الشروع في الأكل أو أي عمل من الأعمال.

من العبارات أيضا ما يقال عند دعوة أحد الأفراد إلى مشاركتنا الأكل، مثل: "وليرزقك الله."

هذا إضافة إلى ما يردد بشكل يومي من طرف الجزائريين: "بعون الله"، "بمشيئة الله".

تظهر بعض العبادات التي يمارسها سكان القرية، الصلاة، والحج: "أريد أن أحج إلى مكة من أجل أن يغفر الله ذنوبي."

لقد استوعب المستعمِر خطورة تمسك الإنسان الجزائري بدينه فعمل جاهدا من أجل القضاء على هذا العنصر المهمّ في الهوية الجزائرية .

د-اللغة: إن الكتابة باللّغة الفرنسية ضرورة تاريخية، فالكتّاب تكوّنوا في المدرسة الفرنسية، وأكّد ذلك **محمد ديب** قائلا إنّه لم يكن لديه الخيار، فإما أن يكتب باللّغة الفرنسية أو يصمت إلا أنّه في نفس الوقت لم ينس أنه ينتمي أيضا إلى الثّقافة المغاربية.[1]

فحسب **ألبير ميمي** أن الإنسان المستعمَر حالما يتخلص من الأمية يقع في الازدواجية اللغوية.[2]

[1] Voir : Jean Déjeux, Situation de la littérature magrébine de langue française, p 81.

[2] ينظر: ألبير ميمي، صورة المستعمِر والمستعمَر، ترجمة: جيروم شاهين، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ص

فكيف ينقل الكاتب الجزائري واقعه المعيش عبر لغة الآخر ويحافظ على بصمة هويته في عمله الإبداعي؟

استطاع **مولود معمري** أن يستعمل في "سبات العادل" لغة خاصة من خلالها انخراط عمله الإبداعي في الثّقافة الجزائرية.

-استعمال عبارات باللغة القبائلية ترجمت إلى الفرنسية كي تفهم من طرف القراء الأجانب، منها: أرزقي ناغ، أبوه ألمومنين ـ النجدة يا مؤمنين، أشو ذاقي ـ ماذا هناك.

استعمل **مولود معمري** اللّغة الفرنسية بطريقة خاصة جدّا إذ وظّف عبارات متداولة في منطقة القبائل، منهم:

-أم أولادي[1] ـ تدل على الزوجة ـ la mère de mes enfants

-من النجم إلى النجم[2] ـ من الصباح إلى المساء ـ des étoiles aux étoiles

-ابن حرام[3] ـ ابن غير شرعي ـ fils de péché

وقد تمّ تسجيل هذه الظاهرة في معظم الأعمال الأدبية في تلك الحقبة التاريخية نذكر على سبيل المثال أعمال **مولود فرعون، محمد ديب،** حيث وظفا في رواياتهما عبارات خاصة بالمجتمع الجزائري ليثبتا تميّزه عن المجتمعات الأخرى.

أطلق الكاتب أسماء جزائرية بامتياز على شخصياته: أرزقي، مكيوسة، أزواو، أما كلمة "آيت" و"أُو" فهي تدل على النسب أو العائلة التي تنتمي إليها الشّخصية: "أرزقي نايت وادليس"، "حاند أو قاسي".

كذا أسماء الأماكن: "إغزر"، "تيمزرت"

وكلمات أخرى من الثّقافة الشّعبية:

"الوعدة": أكل جماعي يعد للاحتفال بمناسبة معيّنة.

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 18.

[2] Ibid, p 46.

[3] Ibid, p44

"أنزا": تدل في الاعتقادات الشّعبية على آخر صراخ من مات قتلا، وكلما حلّ الوقت الذي قتل فيه الشّخص يسمع الصراخ نفسه.

مجمل القول: عمل الكاتب **مولود معمري** في "سبات العادل" على إبراز الهويّة الثّقافية للمجتمع الجزائري عامة والقبائلي خاصة، قصد تمييزه عن مجتمع الآخر (المستعمِر) و ليؤكد أنّ روح إبداعه الأدبي جزائرية حتى النّخاع.

6-رحلة البحث عن الذّات .

إذا حاولنا استخلاص مراحل تطوّر الوعي بوضع الجزائر لدى الشباب المثقّف/"أرزقي" من خلال الرّواية فسنجدها تقترب من تلك الأزمنة التي أشار إليها الكاتب **مولود معمري** في المخطط الذي وضعه بخصوص الشّخصيات المثقّفة الموظّفة في الرّوايات الجزائرية التي نشرت قبل حرب التّحرير وهي[1]:

الزّمن الأوّل: يكون الإحتكاك بين الشّخصية التي خرجت من المؤسّسة التقليدية والعالم الغربي عنيفا ومأساويا.

الزّمن الثّاني: يلتفت البطل إلى مجتمعه الأصلي ليصدر عليه حكما، ويشرع في التقرّب من المجتمع الاستعماري المتوّج بحظوظ النّظام .

الزّمن الثّالث: يرفضه المجتمع الاستعماري.

الزّمن الرّابع: هو زمن العودة والوعي، لكنّه يتمرّد على بعض العادات والتّقاليد.

وكانت المرحلتان الأولى(الحصول على التعليم الفرنسي واكتشاف معالم الغرب) والثّانية(انتقاد تقاليد المجتمع الأصلي) حاضرتين في تقسيمات العديد من الباحثين من بينهم نذكر **عايدة أديب بامية** التي تختم مسار المثقف المستعمر بنهاية درامية تتمثل في الانتحار في أغلب الأحيان أي الهلاك والهاوية.

1 – Mouloud MAMMERI : Culture savante, culture vécue, Alger, Thala, 1991, P96.

مرّ البطل "أرزقي" في سبات العادل بمراحل ثلاث تبلور على إثرها وعيه بذاته منطلقا من بيئته الأصليّة ليعود إليها بعد رحلة أثّرت على رؤيته للحياة وعلى مصيره.

أ-**مرحلة الإقبال على ثقافة الآخر:** في هذه المرحلة انبهر "أرزقي" بالثّقافة الغربية والكتب التي قرأها والدّروس التي تلقاها في المدرسة الفرنسية من معلّمه "بواري"، وأصبح يمقت مجتمعه ويتمرّد على قيمه و تقاليده حيث أعلن إلحاده أمام الجميع "لا آبه لا بالشيطان ولا بالله"[1] وعبّر عن سخطه على الحياة في القرية، قال لأبيه: "إنّ حياتكم لا معنى لها، فهي نسيج من السخافات."[2]

خاض "أرزقي" تجربة الحرب وكلّه حماس، عملا بنصيحة معلّمه "بواري"، وإيمانا منه بأنّه يدافع عن قضية نبيلة، فهو يعتقد أنّ هذه الحرب تهدف إلى القضاء على قوى الهدم التي تعطي الأولوية للماديات على حساب الروحانيات:

"أعدك أستاذي العزيز أنني سوف أكافح بكل ما أوتيت من قوّة من أجل نصرة قضية، أعلم أنّها قضيتك."[3]

ب-مرحلة الأسئلة: احتكّ أرزقي بالمجتمع الغربي أثناء الحرب واصطدم بواقع أليم ذاق إثره مرارة التمييز العنصري: فالأولوية كانت دوما للأوربيين، سواء كان ذلك في طابور الأكل أو في القوانين الجائرة التي تجبر الضابط الجزائري على الانصياع لأوامر نظيره الأوربي حتى و لو كان الاثنان من الرتبة العسكرية نفسها:

"أكيد أنّه كان يعلم أنّ مادة كانت تلزم الضابط الجزائري أن يطيع الضابط الفرنسي إذا كانا من نفس الرّتبة العسكريّة."[4]

هذا إلى جانب الموقف الذي حدث عند زيارة النقيب "ريكاردو"، و حاول" أرزقي" أن يقدم له أعضاء كتيبته فأمره النّقيب بالعودة إلى صفه ليكلّف الرّقيب "لومرشان" بهذه المهمّة رغم أقدمية "أرزقي" وخبرته. استاء "أرزقي" لهذا التصرّف العنصري فعوقب بخمسة عشر يوما في السّجن

---

[1] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 8.

[2] Ibid, p9

[3] Ibid, p .83.

[4] Ibid, p .83

الإنفرادي أعاد على إثره حساباته. تيقّن "أرزقي" أنّ الذّات الجزائرية لم يكن لديها وجود في هذا العالم، فالموجود الوحيد هو الآخر وثقافته وقوانينه الجائرة.

قام أرزقي بعد خروجه من السّجن بحرق كتب الفلسفة التي كان يقرأها، ويعتبر هذا السلوك نقطة تحوّل بالنسبة له، إذ أنّه تفطن لطبيعة المضامين، إنّ كل ما ذكرته تلك الكتب لا يعنيه لا من قريب ولا من بعيد:

"رمى كتابا تلو الآخر: العقد الاجتماعي، الخطاب، التفاوت الاجتماعي، العقاب، جورسن، أوجست، كانط، هاها سيداتي سادتي يا لها من مهزلة، يا لها من مهزلة كبرى، يا لها من شعوذة."[1]

"أحرق الكتب، انتقلت الشعلة بشكل بطيء ملتهمة الأوراق في البداية ثم الأغلفة المجلدة بشكل أسرع مظهرة أسماء مؤلفيها: موليير، شكسبير، هومر مونتيسيكو وآخرون."[2]

لما أشرفت الحرب على النّهاية أصيب "أرزقي" بجروح نقل على إثرها إلى المستشفى فاستغربت الممرضة من اسمه، فسألته من أين هو، فأجابها "أنا جزائري".

"الممرضة: أظن أنك قادم من بعيد؟

أرزقي: أنا جزائري."[3]

عانى أرزقي عند خروجه من المستشفى من الضياع المادي و المعنوي، فهو لم يجد مكانا يبيت فيه و لا طعاما يقتات منه، هذا إضافة إلى انعدام المثل الذي يقتدي به ولم يعد يؤمن بأي مبدأ أو قضية، وعاش لفترة حياة المجون والاستهتار:

"ما كنت أخشاه أكثر من عدم إيجادي قوت يومي يكفيني هو خوفي من وجودي دون مثل صالح أحتذي به. شيء أمسك به حتى لا أسقط في أيّ شيء."[4]

التقى بصديقته "جرمان" التي تعرّف عليها أثناء الحرب، وذهب برفقتها لزيارة عائلتها فأخبرته أمّها أنّها كانت تظن أنّه كان كالآخرين لولا أنّ أحدا أخبرها أنه جزائري.

---

[1] اسماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، ص 118.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste p 118.

[4] Ibid p127.

"ضحكنا كثيرا بعد رحيلك، حين علمنا أنك جزائري، حيث أخبرنا بذلك أحد زملائك، اعتقدنا قبل سماعنا بذلك أنك مثل الآخرين."[1]

ذلك لتشعره أنه مختلف عنهم لا لشيء إلا لأنه جزائري.

تغيرت نظرة "أرزقي" للعالم الغربي، إذ اتضح له أنه ناكر للجميل، فالحرب التي خاضها و التّضحيات التي قدّمها لم تعد عليه بالفائدة، فالحرية التي كافح من أجلها كانت حرية الآخرين ليست حريته هو.

قرر "أرزقي" الإحتكاك بالجالية الجزائرية الموجودة بفرنسا ليكتشف أن حالها ليس بأفضل من حاله، ذلك ما دفعه إلى الانضمام إلى الحزب عله يعوض ما تعلمه من معلمه "بواري"، لكن الإنضمام إلى الحزب يتطلب القيام بتضحية كإثبات للوفاء، فقد كان على أرزقي أن يحصل على مبلغ مالي يتبرع به للحزب و بأية طريقة كانت.

اقترحت عليه صديقته "مارت" إعطاءه تشكيلة الأعداد الناجحة في مسابقة "يانصيب" التي نظمتها جريدة Le cannard أين كانت تعمل مارت، رفض أرزقي في البداية خوفا من السجن لكنها استطاعت في الأخير أن تقنعه بالفكرة، تبرع أرزقي بالمال الذي ربحه بالرغم من شدة حاجته إليه. عند عود ته إلى المنزل يجد استدعاء من الشرطة و رسالة من أخيه سليمان يطلب منه العودة فالعائلة بحاجة إليه.

"مهما شعرت بعدم انتمائك إلينا ، يجب أن تعود في يوم من الأيام."[2]

يقرر "أرزقي" العودة إلى الجزائر و يخبر "جرمان" بالأمر و يحدد معها موعدا في المحطة ليودّعها لكنّها لن تأتي بل أمها هي التي تلحق به قبل أن يغادر القطار لتلمّح له أن وجوده كان عائقا أمام سعادة ابنتها، "هي تعتذر لعدم قدرتها على المجيء، و تتمنى لك الكثير من السعادة في الجزائر (...) هكذا أفضل لكما على كل فقريبا "جرمان" يجب أن تتزوج."[3] و بطبيعة الحال فهو ليس الإنسان المناسب لابنتها لانه ليس فرنسيا.

---

[1] اسماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، ص 106.

2-المرجع نفسه ، ص 128.

[3] Mouloud MAMMERI, Le sommeil du juste, p 136.

ج–العودة: يعود "أرزقي" إلى قريته "إغزر" و كأنه قد انتقل من عالم إلى عالم آخر مختلف تماما، فيصطدم مرة أخرى بالأعراف و التقاليد التي لم يعد يستطيع تحملها.

يقيم "تودرت" حفلة زواج لإبنه أكلي في نفس الليلة التي يعقد فيها الحزب اجتماعا يحضر فيه أعضاء عائلة أرزقي، و تنصح "الياقوت" "سليمان" بعدم الذهاب لأن "تودرت" قد أخبر السلطات لكنه لا يريد أن يفوت على نفسه هذه المناسبة المهمة، في نفس الليلة يقوم "محاند" أخ أرزقي بقتل تودرت ثم يموت مباشرة لأنه مصاب بداء السّل.

يلقى القبض على كل من كانوا في الإجتماع ما عدا أرزقي الذي هرب، لكن تمسك به السلطات الفرنسية ليسجن برفقة أفراد عائلته بتهمة قتل "تودرت".

أما أرزقي فهناك تهمة أخرى تضاف إلى رصيده و هي المساس بأمن الدولة إذ يحكم عليه بعشرين سنة سجنا.

تبدو الصّورة واضحة أشد الوضوح بالنسبة لأرزقي في السّجن و أثناء محاكمته، إذ مثلت أمامه كل خيبات الأمل التي شعر بها بسبب من كان منبهرا به في يوم من الأيام.

"طلب منه الدركي الذي ألقى عليه القبض:

-لماذا لم تعد إلى الجزائر بعد انتهاء الحرب؟

-لأنني أردت البقاء في فرنسا، لقد جئتها لأحارب هتلر.

-و كأنما فرنسا بحاجة إلى أمثالك، و الهدنة، ألم يوقع هتلر الهدنة؟

-لقد وقعت الهدنة ليس بالنسبة لي، لقد وقعت من أجل القنبلة الذرية و الروم و إمبراطورية الهند و هيروشيما.

-أيريد الأستاذ إذن هدنة خاصة به؟"[1]

إن نظرة ذلك الفرنسي تلخّص لنا نظرة شعبه إلى الجزائريين الذين استغلوا في الحرب ثم هُمّشوا و مورست عليهم أبشع الجرائم وخير مثال على ذلك جراثم 8 ماي 1945 م.

[1] اسماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، ص 148.

أما صديقته "جرمان" فاستُدعيت من أجل الشهادة في المحاكمة لكنها بطبيعة الحال لم تأت لأنها كانت مشغولة بما هو أهم و هو رجوع خطيبها الغائب منذ سنين.

نفس الشيء بالنسبة لمعلمه "بواري" الذي اكتفى برسالة يبدي فيها رأيه بخصوص تلميذه، دون أن يبرأه.

"إن أرزقي كان دوما طالبا نموذجيا،و ليس هناك أي مؤشر سابق يوحي بأن يصل إلى ما هو عليه."[1]

ذلك كان موقف المعلم "بواري" من تلميذه، ذلك التلميذ الذي كان يرى فيه المثل الأعلى، فهو تخلى عنه بمجرد شعوره بأن أرزقي لم يعد تابعا له.

أما القاضي فقد تعجب من التصرف السخيف "لأرزقي" بالرغم من كونه إنسانا متعلما و "واعيا".

"إنّ أساتذتكم مكّنوكم من التوصل إلى حقيقة العالم، وحقيقة أنفسكم، ولكنك أنت وحدك الذي انغمست في ظلام دامس بهذا العمل السخيف."[2]

كان "أرزقي" يريد أن يشرح للقاضي أنّ ما قام به كان سببه ما ذاقه من تمييز وتحقير من طرف من يتغنّى بشعارات المساواة والعدالة لكن يعود ويتمسك بالأمل، فذات يوم سوف ينتصر الخير وسوف تسود العدالة لأن ذلك هو قانون الحياة.

"فمن الطبيعي (...) أن يرقد العادل بعد أن نام العدل (...) لا يهمّني ولا يهمّ الآخرين نوم ليلة واحدة أو يوم واحد ولا نهتم حتى إذا رقدنا عاما كاملا، فليس إلا الموت الذي لا يستيقظ منه أحد."[3]

فهم "أرزقي" أنّ الشّعارات التي كان المستعمّر يتغنّى بها هي شعارات جوفاء لا وجود لها فوق أرض الواقع على الأقل في المجتمع الجزائري وإلا فكيف يُحكم على إنسان بعشرين سنة سجنا

[1] اسماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية ، ص 149.

[2] المرجع نفسه، ص 150.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

دون توفر أدلة تثبت إدانته. كما أدرك أنّه بالنسبة للمستعمِر مجرّد وسيلة يحقّق بها أهدافه ثم يتخلّى عنها.

عاد البطل "أرزقي" إلى الجزائر، ودخل السّجن لأنه لم يستطع التأقلم مع مجتمعه بعد عودته إليه يحمل السّجن في هذا السياق دلالة مادية ومعنوية في الوقت نفسه.

الخاتمة

كانت الرّواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في الخمسينيات معبّرة حقّا عن الهمّ الوطني، فصوّرت معاناة الجزائريين تَحت نير الاستعمار، ورصدت الحالة الاجتماعية والسياسية رغم اتخاذ الفرنسية وسيلة للتّعبير.

–نشر مولود معمري روايته الأولى" الهضبة المنسية" في سنة 1952 وتبتدئ وقائعها في فترة ما قبل الحرب العالميّة الثّانية، لتصوّر الوضع في الجزائر في ظلّ الإحتلال الفرنسي، وتنقل مآسي الشّعب وأحزانه وبؤسه. إنّها فترة اليأس والقلق دون إمكانية للعثور على حلّ، لأنّ الإستعمار لا يقدّم حلولاً، وأيًّا كان الأمر، فإنّ بوادر الأمل بدأت تلوح، كنتيجة للتغيّرات التي طرأت على الوضع السياسي في الجزائر.

–تأخذنا رواية"سبات العادل"، إلى داخل المجتمع الغربي مع البطل "أرزقي"، المثقّف المشبّع بالثّقافة الفرنسية، بيد أنّه سرعان ما يرفض عالم الكلمات من مثل العدالة والمساواة والإنسانية، فيخرج من التجربة وهو يشعر بالمرارة، وكأنّه يسير في الفراغ.

– اشتغلت روايتا مولود معمري على قلب موازين البطولة الرّوائية. فإذا كان الآخر" الفرنسي" هو المركز في الرّواية الكولونالية، و" الأنا" أي" الأهالي" هو الهامش، ففي هذا النصّ الجديد– الجزائري– يحتل الجزائريون مواقع الفعل والتّفكير والابتكار.

–تعالج الرّوايتان الكثير من القضايا على اختلاف أبعادها الاجتماعية والوطنية والإنسانية وتعبّران عن مشكلات الإنسان في نظرته للواقع وللحياة.

–وترصد الرّوايتان التحوّلات التي طرأت على المثقّف المستعمَر بفعل التحاقه بالمدرسة الفرنسية التي سعت إلى تقزيم أعلام الثّقافة الجزائرية، والقضاء على مقوّمات الهويّة الجزائرية.

-نقلت لنا رواية"الهضبة المنسية"حياة قرية منسية من طرف الاستعمار الفرنسي، وذلك عبر نظرة السّارد المثقّف "مقران" الذي يصف حالة مجتمعه وهو يتعرض لتأثيرات خارجية تتمثل في الحرب العالمية الثّانية والثّقافة الغربية، وتناقضات داخلية مثل صراع الأجيال وبعض التّقاليد البالية. أما رواية"سبات العدل" فكانت رحلة شاقة للبحث عن الذّات عبر محطّات مختلفة، يكتشف من خلالها حقيقة المستعمِر وزيفه ووحشيته.

-إنّ موقف المثقّف في"الهضبة المنسية" من مجتمعه مختلف عن موقف المثقّف في"سبات العادل"، فعلاقة "مقران" بمجتمعه في الرّواية الأولى تبدو أكثر سلاسة، كان يكتفي بملاحظة الأحداث والتّعليق عليها من حين لآخر، أما "أرزقي"بطل الرّواية الثّانية، فلهجته أكثر حدّة حيث كان يعبّر عن رفضه لبعض العادات، مما أدّى إلى نشوب صراع بينه وبين ذويه.

-كانت نهاية كلّ من "مقران" و"أرزقي" مأساوية، انتهى الأوّل بالموت في عاصفة ثلجية، وحكم على الثّاني بالسّجن لمدّة عشرين سنة، وربما عدّ الموت والسجن هو الحلّ الوحيد لشعور البطلين بالفشل في التّأقلم بين حضارتين وعالمين مختلفين.

عبّرت روايات مولود معمري، عموما، عن الثّقافة الجزائرية وارتبطت عضويا بالهويّة الجزائرية، ونسجت قصتها وسردها وأحداثها وشخوصها من أرض الجزائر وواقع الجزائريين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر باللّغة الفرنسية

1-Mouloud MAMMERI , la colline oubliée EL DAR EL OTHMANIA , EDITIONS , Algérie, 2015

2-Mouloud MAMMERI, le sommeil du juste , EL DAR EL OTHMANIA EDITIONS Algérie , 2005

المراجع باللّغة العربية

1-إبراهيم خليل، بنية النص الرّوائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ،1 2010م.

2-احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته تطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر دط، دت.

3-ألبير ميمي، صورة المستعمر والمستعمر، ترجمة جيروم شاهين، دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت، دط دت.

4-أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، ط1، 2013.

5-إسماعيل حاجم، الصراع الحضاري في الرواية الفرانكفونية المغاربية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية 1999 – 2000.

6-حميد الحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 2000م.

7- حسن عليان، تعدّد الأصوات والأقنعة في الرّواية العربيّة، مجلة جامعة دمشق، مج24، 2008،

8-سعيد ادوارد، صور المثقف، محاضرات ريث 1993، ترجمة غسان غضن، مراجعة منى أنيس دار النهار، بيروت، ط1، 1996.

9-عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925- 1967، ترجمة محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية، دط ،دت.

10-عبد السلام فيلالي، الجزائر الدولة والمجتمع، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2013.

11-عبد السلام الشادلي، شخصية المثقّف في الرّواية الحديثة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1985.

12-عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة والتجربة، ترجمة محمد برادة، منشورات الجمل، بيروت لبنان ط1، 2009.

13-محمد الداهي، صور الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1 2013.

14-محمد السويدي، محاضرات في الثّقافة والمجتمع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائ،ر دط دت.

15-محمد الهادي عفيفي، التربية والتغيير الثقافي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2 1964م.

16-محمود محمد أملودة، تمثلات المثقّف في السّرد العربي الحديث، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ط1، 2010م.

17-مشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت ط2، 1982م.

18-ميخائيل باختين، الخطاب الرّوائي، تر/ محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، ط1، ، 1987.

19- ميخائيل باختين، شعرية ديستوفسكي، تر: ناصف التركيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1989.

20-نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الملايين، ط1، 1981م.

21-هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن دط، 2004م.

المراجع باللّغة الفرنسية:

1-Albert CAMUS, Misères de la Kabylie, Editions Zirem Bejaia, Algérie, 2005.

2-Christiane ACHOUR, Anthologie de la littérature Algérienne de langue française Entreprise algérienne, presse-Bordas, Paris 1990.

3-Djouher, AMHIS-OUKSEL, Taâssast, une relecture de la colline oubliée de Mouloud Mammeri, Edition casbah 2, Alger, 2011.

4-Ferenc hardi, Le roman Algérien de la langue française de l'entre deux Guerres, Harmattan Editions, 2005.

5-Fouzia BENDJELID, Le roman algérien de langue française, chihab Editions 2012.

6-Franz FANON, Les damnées de la terre, Editions ENAG, Alger, 2011.

7-Houcine AIT AHMED, mémoires d'un combattant, Edition bouchene, Alger, 1990.

8-Jean DEJEUX, situation de la littérature maghrébine de langue française, office des publications universitaires, Hydra Alger, 1982.

9-L'arbi OUDJEDI, Rupture et changement dans la colline oubliée, Editions achab, Tizi-Ouzou, Algérie 2009.

10-Rabeh SEBAA, L'Algérie et la langue française ou l'altérité en partage, Edition Franz Fanon, Tizi-Ouzou 2015

11-Rejane le beaut, jean El Mouhoub Amrouche Algérie universel, Alterdi Mars 2006

12-Youcef ALLILOUI, Les archs tribus Berbères de Kabylie L'Harmattan Edition, France 2006.

13- Mouloud MAMMERI : Culture savante, culture vécue, Alger, Thala, 1991.

المواقع الالكترونية:

www.aswatEl-chamal.com/ 18-02-2016
www.alukah.net/social/04127/ 22-04-2016
www.djelfa.in/ 15-05-2016
www.ar.wikipedia.org/ 15-05-2016
www.arafid.ae/arafid/ 24-05-2016
www.manifest.univ_ouargla.dz/ 01-06-2016

المواقع الالكترونية:

www.aswatEl-chamal.com/ 18-02-2016

www.alukah.net/social/04127/ 22-04-2016

www.djelfa.in/ 15-05-2016

www.ar.wikipedia.org/ 15-05-2016

www.arafid.ae/arafid/ 24-05-2016

www.manifest.univ_ouargla.dz/ 01-06-2016

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الإهداء

كلمة الشكر

مقدّمة.....ص01

المدخل: قضايا الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية.

1- الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية/ النّشأة وإشكالية الانتماء.....ص07

2- الكتّاب الجزائريون والكتّاب الأوربيون مواليد الجزائر.....ص12

3-علاقة الكتّاب الجزائريين باللّغة الفرنسية.....ص13

3-التيارات الأدبية السّائدة في الجزائر.....ص14

الفصل الأوّل:

المثقّف/ الذّات السّاردة في"الهضبة المنسية".

1 – حول السّرد والسّارد.....ص19

2 – ضمير الأنا في "الهضبة المنسية". ص22

3 – شباب القرية والمدرسة الفرنسية.....ص26

4 –"مقران "مثقّف الهضبة المنسية..... ص29

5-صراع المثقّف مع مجتمعه الأصلي..... ص36

6-أثر الحرب العالمية الثّانية على القرية.....ص43

الفصل الثّاني:

المثقّف ووعي الذّات والآخر في "سبات العادل"

1-الأنا(الذّات) والآخر.....ص49

2-المثقّف بين وعي الذّات وسلطة الآخر.....ص51

3-المعلّم الفرنسي/الثّقافة المثال. ص54

فهرس الموضوعات:

4-مكوّنات الهويّة في "سبات العادل""".....ص56

6-رحلة البحث عن الذّات.....ص62

خاتمة.....ص69

قائمة المصادر والمراجع.....ص72

فهرس الموضوعات.....ص77